الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أحمد دراية- أدرار

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية قسم العلوم الإسلامية

الإحسان وأثره النفسي في القرآن الكريم
- سورة النساء نموذجا-

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة الماستر في: التفسير

إعداد الطالبة:
فلاحي فاطمة

إشراف الأستاذ :
د رابح دفرور

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة
مصطفى مدياني	أستاذ محاضر-ب-	رئيسا
رابح دفرور	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقررا
صفية العرابي	أستاذ مساعد-أ-	عضوا مناقشا

الموسم الجامعي:1438-1439هـ/ 2017-2018م

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيراً وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَالاَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ۝١﴾ [سورة النساء آية 1]

﴿۞ وَاعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِالْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰناً وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَالْيَتَـٰمَىٰ وَالْمَسَـٰكِينِ وَالْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَالصَّـٰحِبِ بِالْجَنۢبِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتَ اَيْمَـٰنُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُوراً ۝٣٦﴾

[سورة النساء آية 36]

﴿وَمَنْ اَحْسَنُ دِيناً مِّمَّنْ اَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفاً وَاتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ۝١٢٥﴾

[سورة النساء آية 124]

إهداء

إلـــــــى:

- من صبرت وضحت وربت...أمي عائشة

-من أدب وعلم وربى ونصح...أبي محمد البركة

-من رافقوني بحبهم وعطائهم..أخي محمد ،أختي زهرة.

-من أمدوني ثمرة خبراتهم وتجارب سنينهم الطويلة...

جدي عبد القادر.. وجدتاي مباركة وفاطمة.

-من ساندوني ودعموني بحبهم ودعائهم... عائلتي وأقاربي.

-من علموني وأرشدوني لكل بر و إحسان..جميع أساتذتي

-صديقاتي وأخواتي ..خديجة،كلثوم،سعيدة،يمينة،وردة...

-كل محسن إلي بقليل أو كثير ....

شكر وعرفان:

الحمد لله على فضله ونعمه ،فهو المستحق للحمد والثناء ،لما له من الأفضال التي لا تحصى والنعم التي يعجز الخلق عن أداء حقها ،فبفضله ونعمائه وببالغ إحسانه ولطفه ،يمدنا بالإعانة والتوفيق لأداء ما كنا -لولا فضله- عنه عاجزون.

فاللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك،أنت كما أثنيت على نفسك لا نحصي ثناء عليك.

وبعد شكر المتفضل الحق سبحانه ،لا يسعنا إلا أن نلتزم أمره بشكر من جعلهم بفضله سببا في إيصال إحسانه:

أبدأ بشكر الأستاذ الذي تفضل بقبول إشرافه على الموضوع ،ثم أعانني في سبيل دراسته وإخراجه على أحسن ما يكون ،فلم يبخل بتوجيه أو نصيحة أو تحذير، كما وجدته رغم كثرة انشغاله حريصا مساندا وداعما..فله الشكر الجزيل على صبره وكرمه... الدكتور:**رابح دفرور**

كما لا يفوتني أن أشكر كل من أعانني وساعدني ونصحني ،وأخص بالذكر أساتذة قسم العلوم الإسلامية الذين كانوا لنا خير المرشد والمعين .

كما أشكر أساتذة التفسير الذين أعانونا بصبرهم واجتهادهم رغم بعض الصعوبات والعقبات.

DESIGN-WAREZ.RU

مقدمة

مقدمة:

الحمد لله الذي أنزل القرآن ،وجعله بفضله هاديا لخير طريق وأقوم سبيل،وصلى الله وسلم على المبعوث رحمة للعالمين،وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

وبعد:

فإن من المعلوم عند كل مسلم أن الإسلام هو الشريعة الخاتمة لجميع الشرائع ،والناسخة لها، وأن الإسلام هو الدين الحق ،بعث به محمد صلى الله عليه وسلم للناس كافة ،وهو صالح مهما اختلفت الأزمنة والأمكنة . فهو بهذا أحسن دين يمكن التزامه، وأحكامه تقدم أحسن منهج يحقق الرقي والكرامة الإنسانية ، بإقناع عقلي وطمأنينة نفسية. ولعل أهم ما تميزت به الشريعة أنها بنيت على الإحسان في كل شيء:في أحكامها، ومعتقداتها، وقيمها. وهو ما يدعونا إلى البحث عن سر الإحسان في القرآن وعن أثره في النفس البشرية. وقد مثلت سورة النساء جملة من مظاهر الإحسان في الأحكام الشرعية التي تناولت الجوانب الأسرية والاجتماعية والنفسية.

1-إشكالية الدراسة.

الناظر لواقع المسلمين اليوم يرى أنهم بعيدون عن منهج الإسلام القويم الذي يحسن حياة الناس ويبين الحقوق ويوصي بالإحسان في كل شيء. وهو ما يجعلنا نستشكل ونتساءل:

-ما هي أهم تجليات الإحسان في القرآن ،وما أثر معرفتها وتطبيقها في تحقيق الطمأنينة النفسية؟

وتتفرع عنه مجموعة أسئلة فرعية أهمها:

1-باعتبار أن الإحسان يشمل إحسانه سبحانه إلى عباده، فما حقيقة إحسان الله سبحانه وما واجب الإنسان تجاه إحسانه سبحانه؟

2- بعلمنا أن في تكليف الله سبحانه لعباده مزيد إحسان منه وتفضل .نتساءل عن تجليات هذا الإحسان من خلال نماذج الأحكام التفصيلية في سورة النساء على سبيل التمثيل؟

3-ما أثر معرفة تجليات الإحسان في القرآن في تحقيق الطمأنينة النفسية ؟

2-أهمية الموضوع :تكمن أهمية الموضوع في كونه:

-يبين دور تشريعات القرآن في نقل الأسرة والمجتمع من أوضاع الجاهلية الفاسدة إلى حسن الإسلام وإحسانه.

-كما أنه يبين أثر الإحسان في تشريعات الإسلام وانعكاسه على الطمأنينة النفسية.

3-أهداف الدراسة:

-يسعى لاستخلاص قيمة الإحسان وفق المنظور القرآني.

-بيان أهمية الطمأنينة النفسية في القرآن ومراعاتها في الأحكام.

-التعريف بإحسان الله إلى عباده ،والذي قوي الإيمان والثقة بالله.

4-أسباب اختيار الموضوع:اخترت الموضوع لأسباب كثيرة منها:

-لشمول لفظ الإحسان واختلاف معانيه والتي كثيرا ما التبست علي، ورأيتها تحتاج إلى بيان.

-رغبتي في معرفة حكمة بيان إحسان الله في القرآن والحث على الإحسان بين الناس، وأثر ذلك في تحقيق الطمأنينة النفسية.

-حاجة المجتمع اليوم لهذه القيمة ،وأهميتها في تحسين ظروف الناس واعتقادهم.

5-منهج البحث:

حاولت دراسة الموضوع بانتهاج المنهج التحليلي وذلك لمناسبته لطبيعة الدراسة التي تستدعي تحليل النصوص القرآنية ورد بعضها إلى بعض ليتضح المعنى ،ويسهل الاستنباط والتقسيم.

6-طريقة البحث:

بعد تعديل الموضوع وتقويم عنوانه وجدت نفسي أمام خيارين اثنين لدراسته.أولهما أن ألزم السورة المحددة وأتتبع ما فيها من أحكام فأبين أثر الإحسان فيها،غير أن ذلك قد يطول لطول السورة ولكثرة الأحكام فيها.أما الثاني فهو أن ألتزم موضوع الإحسان وأبين أهم ما شمله القرآن

منه باختصار فما وجدته منه في السورة أثبته وما لم أجده بحثت عنه في آيات أخر ،وذالك باعتبار أن الآيات مفسرة لبعضها ،كما اضطررت في أحيان كثيرة إلى البحث في السنة باعتبارها مفسرة كذالك ،وقد اخترت الخيار الثاني لشموله للموضوع وإمكانية اختصاره بما يتناسب مع الحجم المطلوب.

إضافة إلى أن سعة موضوع الإحسان وكثرة المعاني فيه قد ألجأتني إلى ضبط مفهوم المصطلح أولا بمحاولة حصر تلك المعاني التي يحملها في القرآن ،وإن ظهر أنني قد استطردت في ذلك،إلا أن كثرة تكرار اللفظ في القرآن في سياقات ومواضيع مختلفة استوجب ذلك.كما قد يظهر كذلك أنني استطردت في بيان إحسان الله سبحانه رغم قلة تحدث السورة فيه ،إلا أنني وخلال بحثي في الموضوع أيقنت أن أهم معاني الإحسان هو إعطاء كل ذي حق حقه،دون زيادة أو نقصان إذ كلاهما قد ينقلبان إساءة . وحق الله أعظم الحقوق كما أن إحسانه أعظم إحسان.فلم يكن لي أن أتجاوز من له الإحسان المطلق في إطار حديثي عن الموضوع.

وقد عملت على توثيق المادة العلمية ،وذلك بتخريج الآيات والأحاديث معتمدة على الصحيحين ثم السنن ثم باقي مظان الحديث،و همشت للكتب بذكر بيانات الكتاب مع (الجزء/الصفحة) أو الصفحة(ص) عند ذكر الكتاب المرة الأولى ،وأكتفي بذكر عنوان الكتاب والصفحة عند إعادته،وقد رمزت للطبعة ب:ط ،و للنقل الحرفي ب:" " وللنقل مع التصرف في اللفظ ب:ينظر.

7-الدراسات السابقة:

الإحسان كلمة متداولة وكثرة تكرارها في القرآن قد دعت الكثيرين إلى دراستها ،كما أن سورة النساء حافلة بالأحكام والتي دعت كثيرين للبحث فيها ودراستها،ومن الدراسات التي اطلعت عليها في الموضوع أذكر:

-دراسة"**الإحسان في ضوء الكتاب والسنة النبوية-دراسة موضوعية-**" وهي دراسة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الكتاب والسنة ،في جامعة أم القرى بمكة المكرمة.من إعداد:أحمد بن سعد الغامدي، وإشراف:سليمان الصادق البيره ،1422ه ،

تناول الباحث في الدراسة مصطلح الإحسان ومعانيه في القرآن والسنة،ومصادره،ثم بين مكانته ومراتبه ودرجاته ،وصور من إحسان الأنبياء،ليختم دراسته ببيان صفات المحسنين.

-دراسة"**ملامح من التربية الأسرية في ضوء القرآن الكريم-سورة النساء نموذجا –دراسة موضوعية**"، وهي مذكرة مقدمة لنيل درجة الماستر،من إعداد سهيلة قاسمي ،وإشراف:نبيل بوراس،2014 /215 ،بجامعة حمه لخضر الوادي.

وقد ركزت الباحثة فيها على أصول التربية الأسرية سواء في العلاقة الزوجية أو علاقة الأرحام ،ثم بينت أساليب القرآن في التنشئة والمحافظة على الأسرة.

-دراسة:"**قيمة الإحسان في ضوء السنة النبوية-دراسة موضوعية-**." وهي دراسة مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة الماستر في الحديث وعلومه .من إعداد:شيخ لطفي،حاجي السبع.وإشراف:محمد خالد اسطنبولي.2017/2016م.بالجامعة الإفريقية أحمد دراية –أدرار-.

وقد تعرض الباحث خلالها لقيمة الإحسان في السنة النبوية ،فذكر تعاريف الإحسان ،ثم انتقل إلى بيان مجالاته ودرجاته وغيرها من طرق تحقيقه والآثار الناتجة عنه.وهي في كثير من أجزائها إعادة أو اختصار لما جاء في أطروحة الغامدي.

أما **دراستي** فسأحاول خلالها بيان تعاريف الإحسان وورود في القرآن ومعانيه،في المبحث الأول ،وتعرضت فيه لبعض ما أورده الغامدي في دراسته باختصار وذلك لضرورته في دراسة الموضوع في القرآن مع استحالة استيعابه وفق الحجم المطلوب.

أما ما قامت به الباحثة من دراسة أصول التربية في القرآن من خلال سورة النساء،فقد أوردت بعضا منه في المطلب الأول من المبحث الثالث.

و ما أضفته عن هذه الدراسات فهو تفصيل لإحسان الله عز وجل وما يتعلق به،وقد ورد في دراستي (الغامدي)، و(شيخ لطفي وحاجي السبع) مختصرا جدا .وذلك لما رأيت من أنه الأصل للإحسان في الوجود وبفهمنا له ندرك حقيقة الإحسان وحكمة الأمر به وتتجلى لنا آثاره.

ومما أضفته كذالك إيراد بعض آثار الإحسان على الطمأنينة النفسية في المبحث الثالث،وهو وإن كان مختصرا إلا أنني حاولت من خلاله بيان أهمية معرفة إحسان المحسن وقيمته ،لأن لذلك أثر في إعطاء كل ذي حق حقه ،وهو ما يحقق الاطمئنان للفرد والأسرة والمجتمع.

8-خطة الدراسة:

حاولت دراسة الموضوع وفق خطة تضمنت مقدمة ومدخل وأربعة مباحث. حاولت في المدخل أن أقدم لسورة النساء.أما في المبحث الأول فعملت على حصر أهم المعاني التي يحملها الإحسان في القرآن لتتبين لنا حقيقة معناه في القرآن،أما المبحث الثاني فبينت فيه إحسان الله سبحانه وما يتفرع عنه،وفي المبحث الثالث حاولت بيان تجليات الإحسان في الأحكام من خلال سورة النساء، ثم انتقلت إلى المبحث الأخير لأبين تلك الآثار النفسية لمعرفة الإحسان وتطبيقه،وختمت الدراسة بخاتمة تبين نتائج البحث مجملة في نقاط هامة، إضافة إلى ذكر أهم التوصيات.

مدخل

تقديم لسورة النساء.

مدخل:تقديم لسورة النساء:

نزولها: النساء مدنية إلا آية واحدة نزلت بمكة عام الفتح في عثمان بن طلحة الحجبي هي قوله تعالى:(إن الله يأمركم أن تودوا الأمانات إلى أهلها)وقيل: أن السورة مكية استنادا إلى أن هذه الآية نزلت بمكة اتفاقا في شأن مفتاح الكعبة [1]،قال القاسمي:وهو مستند واه لأنه لا يلزم من نزول آية أو آيات من سور طويلة ،نزل معظمها بالمدينة أن تكون مكية خصوصا أن الأرجح أن ما نزل بعد الهجرة مدني [2].وفي صحيح البخاري عن عائشة أنها قالت :"..ما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده-أي رسول الله صلى الله عليه وسلم-" [3].ودخولها عليه كان بعد الهجرة اتفاقا.

تسميتها:"سميت سورة النساء لأن ما نزل منها في أحكامهن أكثر ما نزل في غيره.فقد افتتحت بأحكام صلة الرحم ،ثم بأحكام تخص النساء و فيها أحكام كثيرة من أحكام النساء :الأزواج ،والبنات ،وختمت بأحكام تخص النساء".[4]

ترتيب نزولها وعدد آياتها : "وقد عدت الثالثة والتسعين من السور .نزلت بعد سورة الممتحنة وقبل سورة إذا زلزلت الأرض.عدد آياتها مائة وخمس وسبعون في عدد أهل المدينة ومكة والبصرة،ومائة وست وسبعون في عدد أهل الكوفة ،ومائة وسبع وسبعون في عدد أهل الشام."[5]

فضلها: أخرج الحاكم في مستدركه عن عبد الله بن مسعود قال :"إن في سورة النساء لخمس آيات ما يسرني أن لي بها الدنيا وما فيها. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَـٰعِفْهَا وَيُوتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً ﴿٤٠﴾﴾ [سورة النساء آية 40]

---

[1]- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية،الشوكاني،تحقيق:عبد الرحمان عميرة، دار الوفاء،(672/1)

[2]-تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل،جمال الدين القاسمي،صححه:محمد فؤاد عبد الباقي،ط1، 1957 (1092/5)

[3]-الجامع الصحيح،البخاري ،تحقيق:محب الدين الخطيب ،محمد فؤاد عبد الباقي ،قصي محب الدين الخطيب،المطبعة السلفية ومكتبتها ،ط1400،1ه،القاهرة، ج 3 ،كتاب :فضائل القرآن ،باب:تأليف القرآن،رقم:4993،ص340.

[4]-التحرير والتنوير،محمد الطاهر بن عاشور،الدار التونسية للطبع د ط،د س،تونس ،1984،(211/4)

[5]-التحرير والتنوير،(213/4)

﴿۞ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مَّدْخَلًا كَرِيماً ﴿٣١﴾﴾ [سورة النساء آية 31]

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَّشَآءُ وَمَنْ يُّشْرِكْ بَاللَّهِ فَقَدِ إِفْتَرَىٰٓ إِثْماً عَظِيماً ﴿٤٧﴾﴾ [سورة النساء آية 47]

﴿ وَلَوَ اَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّاباً رَّحِيماً ﴿٦٣﴾﴾ [سورة النساء آية 63]

﴿وَمَنْ يَّعْمَلْ سُوٓءاً اَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُوراً رَّحِيماً ﴿١١٠﴾﴾ [سورة النساء آية 109]

قال عبد الله: ما يسرني أن لي بها الدنيا وما فيها."[1]

محورها:"التوحيد الصحيح ومقوماته."[2]

أغراضها:للسورة أغراض عدة فهي،" تعمل بجد وجهد في محو ملامح المجتمع الجاهلي ،ونبذ رواسبه ،وتكييف ملامح المجتمع المسلم ،وتطهيره من رواسب الجاهلية فيه ،وجلاء شخصيته الخاصة ..والتعريف بأعدائه الراصدين له من حوله —من المشركين وأهل الكتاب وبخاصة اليهود- وأعدائه المتميعين فيه من ضعاف الإيمان والمنافقين ،وكشف وسائلهم وحيلهم ومكايدهم ،وبيان فساد تصوراتهم ومناهجهم وطرائقهم .مع وضع الأنظمة والتشريعات التي تنظم هذا كله وتحدده ،وتصبه في القالب التنفيذي المضبوط."[3]

موضوعاتها: حوت السورة مجموعة موضوعات كانت في مجملها أحكاما وتوجيهات للمجتمع الحديث النشأة في المدينة وذالك لقطع جميع صلاته بالجاهلية الأولى والتحذير من تلك الرواسب الباقية منها في نفوسهم ومن أبرز تلك المواضيع:

---

[1]-المستدرك على الصحيحين،أبي عبد الله الحاكم النيسابوري ،دار الحرمين،ط1، 1997،كتاب التفسير،باب تفسير سورة النساء، رقم:3254،(363/2)

[2]-التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم،نخبة من العلماء بإشراف مصطفى مسلم،جامعة الشارقة،ط1، ،الإمارات. (2/2)

[3]-في ظلال القرآن،سيد قطب،دار الشروق،(555/1)

التذكير بنعمة خلق الله للإنسان،وذالك تمهيدا وتقريرا لهم أنهم محقوقون بأن يشكروا ربهم على ذالك وأن يراعوا حقوق النوع الذي خلقوا منه ،بأن يصلوا أرحامهم ويرفقوا بالضعفاء من باليتامى ،وأن يراعوا حقوق النساء بالعدل في معاملتهن وأشارت السورة إلى عقود النكاح والصداق وغيرها.ثم انتقلت السورة إلى بيان أحكام المعاملات بين جماعة المسلمين في الأموال والدماء وأحكام القتل عمدا وخطأ ..والأمر بإقامة العدل والتحذير من اتباع الهوى والأمر بالبر ،والمواساة وأداء الأمانة والتمهيد لتحريم الخمر. إضافة إلى طائفة من أحكام الصلاة والطهارة وصلاة الخوف،ثم أحوال اليهود لكثرتهم بالمدينة وأحوال المنافقين وفضائحهم ،وأحكام الجهاد.وتخلل ذلك مواعظ وترغيب وترهيب ونهي عن الحسد وبث المحبة بين المسلمين.[1]

وقد تمازجت هذه المواضيع في السورة مشكلة نموذجا فريدا لرقي المنهج الرباني وإحسانه في بناء المجتمع المسلم في المدينة.وفيما يأتي من مباحث بيان للإحسان في الأحكام ولقوة تأثيرها في النفوس

[1]-ينظر:التحرير والتنوير،(4/213-214)

المبحث الأول:مفهوم الإحسان.

المطلب الأول:لفظ الإحسان في اللغة

المطلب الثاني:مصطلح الإحسان في القرآن

المطلب الثالث:مصدر الإحسان.

المبحث الأول:مفهوم الإحسان.

إن كثرة تكرار لفظ الإحسان في القرآن والتعبير به عن كل فضل و نعمة مرغوب فيها،مع التأكيد عليه لتحقيق سعادة الدارين وأن المتصفين به هم الناجون المفلحون .كل هذا يجعل الإنسان يتساءل عن مفهوم الإحسان وحقيقته اللغوية والقرآنية.

المطلب الأول:لفظ الإحسان في اللغة:

حسن:الحاء والسين والنون أصل واحد فالحسن ضد القبح :يقال رجل حسن وامرأة حسناء وحسانه ،والحسن عبارة عن كل مبهج مرغوب فيه.ومنه أَحسنُ :أجمل وأكثر حسنا .ومنه أحسنَ:إذا فعل المرء ما ينفع غيره بحيث يصير الغير حسنا به ،كإطعام الجائع،أو يصير الفاعل به حسنا بنفسه،فعلى الأول: الهمزة في أحسن للتعدية .وعلى الثاني للصيرورة .وأحسنَ يتعدى بإلى وباللام ويتعدى بالباء أيضا.ومنه الإحسان :وهو ضد الإساءة.ويقال الإحسان على وجهين: أحدهما الإنعام على الغير يقال أحسنَ إلى فلان ،والثاني إحسان في فعله وذلك إذا علم علما حسنا أو عمل عملا حسنا، والإحسان أعم من الإنعام لأن الإحسان يكون لنفس الإنسان ولغيره ،والإنعام لا يكون إلا لغيره.[1]

قال ابن عاشور:"والإحسان إنما يتعدى بالباء لتضمينه معنى البر.وشاعت تعديته بالباء في القرآن في مثل هذا وعندي أن الإحسان إنما يتعدى بالباء إذا أريد به الإحسان المتعلق بمعاملة الذات وتوقيرها وإكرامها ،وهو معنى البر ولذلك جاء: ﴿ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ﴾ [سورة يوسف آية 100] وإذا أريد به إيصال النفع المالي عدّي بإلى،تقول أحسن إلى فلان،إذا وصله بمال ونحوه.

---

[1]-ينظر:معجم مقاييس اللغة،ابن فارس،تحقيق:عبد السلام محمد هارون(57/2).المفردات في غريب القرآن،الراغب الأصفهاني، تحقيق محمد سيد كيلاني ،ص118.لسان العرب،ابن منظور،دار المعارف،ص878.معجم ألفاظ القرآن الكريم،مجمع اللغة العربية، ص1989.الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية.الكفوي،عناية :عدنان درويش،حمد المصري.مؤسسة الرسالة،ص53.

فالإحسان في اللغة يدور معناه بين الجمال وفعل الجميل ويتميز بتعديته فالإحسان يعني إيصال الجميل للغير وقد يعبر به عن الشيء الجميل نفسه.

المطلب الثاني:مصطلح الإحسان في القرآن:

تكرر ورود لفظ الإحسان في القرآن بدءا من أصله ومادته (ح س ن)إلى فروعه وما تولد عنه بالاشتقاق :وبلغ مجموع وروده في القرآن نحو: 197[1] مرة ،وهو ما يدعونا للاستفسار:عن سر كثرة هذا اللفظ في القرآن وعن المعاني التي يحملها وعن أثره في المعنى؟

وتشعب مادة الإحسان في القرآن وكثرة معانيها ألجأتني إلى دراستها حسب عدة اعتبارات هي:

أ-باعتبار الاشتقاق:

وبالنظر للصيغ التي ظهر بها لفظ الإحسان في القرآن نجد أهمها:

1-أَحسَنُ:بمعنى أجمل وأكثر حسنا.وقد ورد نحو 34 مرة وبتقصي مجموع تلك الآيات التي ورد فيها نجد القرآن يصف أشياء أن لها الكمال في الحسن.

فمثلا قوله تعالى : ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ١٢٥﴾ [سورة النساء آية 124]

يصف لنا المولى -جل وعلا-أحسن الدين وأقومه.

وفي قوله تعالى: ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٣﴾ [سورة يوسف آية 3]

يصف لنا سبحانه قصص القرآن بالتناهي في الحسن والكمال.ولا شك أن وصفه سبحانه لشيء أنه بالغ الذروة في الحسن ،هو تزكية له وحث عليه ،كما وصف سبحانه مستقر أصحاب الجنة

[1]-ينظر في جميع الأعداد المذكورة المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم،محمد فؤاد عبد الباقي،دار الحديث،القاهرة، 1364، ص202.

بقوله: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [سورة الفرقان آية24]

2-محسن:(محسنون،محسنين،محسنات)وهو اسم فاعل من الحسن،أي أنهم الفاعلون للإحسان حتى صار وصفا لهم.وقد ورد نحو 38مرة .وهي في معظمها حث على الإحسان وتنويه بمكانة المحسنين عند الله.

محبة الله للمحسنين:وقد أكد الله سبحانه محبته للمحسنين في نحو5 آيات منها قوله تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَالضَّرَّآءِ وَالْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [سورة آل عمران آية 134]

وعن سبب استحقاقهم لمحبة الله وجزاءه العظيم الذي وعدهم به يقول الراغب:"الإحسان فوق العدل وذلك أن العدل هو أن يعطي ما عليه ويأخذ ماله،و الإحسان أن يعطي أكثر مما عليه ويأخذ أقل مما له.فالإحسان زائد على العدل..لذلك عظم الله ثواب المحسنين فقال: ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [سورة آل عمران آية 134] "[1]

قال الرازي:"ومحبة الله للعبد أعم درجات الثواب."[2]

جزاء المحسنين:

تكررت في القرآن ألفاظ عدة تبين جزاء المحسنين في الدنيا والآخرة أظهرها :(وكذلك نجزي المحسنين)(وذلك جزاء المحسنين)(إن الله لا يضيع أجر المحسنين).

وهو ما يسفر عن مكانة المحسنين عند الله ،وفي هذا دعوة ملحة للإنسان ليلتزم سبيل الإحسان حتى يصير وصفا له فيكون بذلك مستحقا لما وعد الله به عباده المحسنين في الدنيا والآخرة.

ومن أمثلة تبشير الله المحسنين بأجرهم الدنيوي قوله تعالى:

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة يوسف آية 22]

---

[1]-المفردات في غريب القرآن،ص119

[2]-تفسير الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب،فخر الدين الرازي ،دارالفكر،ط1 ،1981، (9/9)

وقوله:﴿وَنَـٰدَيْنَـٰهُ أَن يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ قَد صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ [سورة الصافات آية 105]

وقصة إبراهيم معروفة والآية هنا تعلل فدية سيدنا إسماعيل بإحسان إبراهيم واستجابته لأمر ربه رغم ثقل الأمر عليه.و يزيد المعنى تأكيدا قوله سبحانه : ﴿۞ هَلْ جَزَآءُ ٱلإِحْسَـٰنِ إِلاَّ ٱلإِحْسَـٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ [سورة الرحمن آية 59]

ومن أمثلة تبشيره سبحانه المحسنين بجزائهم في الآخرة قوله:

(لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٣﴾) [سورة الزمر آية 33]

ولأن نيل محبة الله سبحانه وجزاءه العظيم مما يرجوه كل مسلم وجب البحث عن ماهية الإحسان وكنهه ،ولماذا كان موجبا لمحبة الله وجزاؤه العظيم.

3-الحسنة:تكرر ورودها في القرآن بالتعريف والتنكير نحو28 مرة.

قال الراغب:"الحسنة يعبر بها عن كل ما يسرّ من نعمة تنال الإنسان في نفسه وبدنه وأحواله،وهي من الألفاظ المشتركة "[1]،وقد ترد وصفا ومثالها قوله تعالى: (ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ) [سورة النحل آية 125]

وقد ترد اسما وتحمل معاني متعددة ،وقد أجملها أهل التفسير في ستة وجوه[2] هي:

1-التوحيد:ومنه قوله تعالى:﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [سورة النمل آية 91]

2-النصر والغنيمة:ومنه قوله تعالى:﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَـٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾﴾ [سورة النساء آية 78]

---

[1]-المفردات في غريب القرآن،ص118

[2]-نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر،أبي الفرج بن الجوزي،تحقيق:محمد عبد الكريم كاظم الراضي،مؤسسة الرسالة،ط1 ،1984 ،ص259

3-المطر والخصب:ومنه قوله تعالى:﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَـٰذِهِۦ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَلَآ إِنَّمَا طَـٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٠﴾﴾ [سورة الأعراف آية 130]

4-العافية:ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَـٰتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [سورة الرعد آية 7]

5-قول المعروف:ومنه قوله تعالى: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [سورة القصص آية 54]

6-فعل الخير:ومنه قوله تعالى: (مَن جَآءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَآءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَىٰٓ إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾) [سورة الأنعام آية 161]

4-الحسنى:فعلى من الحسن ،ويقال في النعمة الواحدة ،أو الفعلة الواحدة من الإحسان،وقد تكررت في القرآن بنحو17مرة.وهي في القرآن على أوجه[1]:

1-الجنة:منه قوله تعالى:﴿۞ لِّلذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة يونس آية 26]

2-البنون:ومنه قوله تعالى: (وَيَجْعَلُونَ لِلهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ لاَ جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرِطُونَ ﴿٦٢﴾) [سورة النحل آية 62]

3-الخير:ومنه قوله تعالى: ﴿إِلذِينَ إِتَّخَذُواْ مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ ٱلْمُومِنِينَ وَإِرْصَاداً لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنَ اَرَدْنَآ إِلاَّ ٱلْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ

[1]-المصدر نفسه،ص257

إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١٠٨﴾ [سورة التوبة آية 108]

4-العليا:ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلاَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَاۖ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَآءِيلَ ﴿١٣٦﴾ [سورة الأعراف آية 136]

ب-باعتبار المعنى:

ويختلف معنى كلمة الإحسان واشتقاقاتها حسب سياق ورودها واقترانها بغيرها من المعاني.وأهم معانيها معنيان:

1-الإحسان بمعنى الزيادة في الإيمان:

ويكون معناه كما قال ابن القيم:"كمال الحضور مع الله عز وجل ومراقبته الجامعة لخشيته ،ومحبته ومعرفته ،والإنابة إليه والإخلاص له"[1]

ومن ذلك قوله تعالى: (لَيْسَ عَلَى ٱلذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾) [سورة المائدة آية 95]

قال الطيبي:"المعنى أنه ليس المطلوب من المؤمنين الزهادة عن المستلذات وتحريم الطيبات وإنما المطلوب منهم الترقي في مدارج التقوى والإيمان إلى مراتب الإخلاص واليقين ومعارج القدس والكمال.وذلك بأن يثبتوا على الاتقاء عن الشرك وعلى الإيمان بما يجب الإيمان به،وعلى الأعمال الصالحة لتحصيل الاستقامة التامة التي يتمكن بها إلى الترقي إلى مرتبة المشاهدة ومعارج (أن تعبد الله كأنك تراه) وهو المعني بقوله:وأحسنوا ....وبه ينتهي للزلفى عند الله ومحبته .والله يحب المحسنين."[2]

---

[1]-مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين،ابن قيم الجوزية،دار إحياء التراث العربي،مؤسسة التاريخ العربي، بيروت،لبنان،ط1 ،1999،(345/2)

[2]-تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل، (2147/6)

2-**الإحسان بمعنى العطاء**: وهذا القسم مختص بحق الإنسان بغيره وتتنوع المجالات التي يشملها من أهمها العطاء من المال ويدخل تحته كل ما ينتفع به .و كذلك العطاء من العلم والمعرفة ،فمن كمال خلق النبي صلى الله عليه وسلم في هذا المجال أنه جواد بما يختصه الله به من معارف غيبية لم يأمره بكتمها ،قال سبحانه: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة التكوير آية 24]،ومما يشتمله العطاء عطاء النصيحة ،فالإنسان الجواد الكريم النفس لا يبخل على أخيه الإنسان بأي نصيحة تنفعه في دينه أو دنياه .وقد ارتقى مفهوم النصيحة عند الرسول صلى الله عليه وسلم حتى كان مساويا للدين كله ،فقد قال:"الدين النصيحة" وقد شمل كذلك العطاء من النفس ومعناه أن يعطي الإنسان من رحمته وعطفه وحنانه ومن حلو كلامه وابتسامته وعفوه وحلمه .ومما يشمله كذلك:العطاء من طاقات الجسد وقواه فيعين الرجل في دابته فيحمله عليها ويميط الأذى عن الطريق،ويمشي في مصالح الناس..ويرتقي العطاء حتى يصل إلى مستوى التضحية بالحياة كلها .فالمجاهد في سبيل الله يجود بحياته في سبيل إعلاء كلمة الله ونصرة دينه، والذي يؤثر أخاه بشربة ماء وهو على وشك الهلاك ،لينقذ أخاه من الموت ،يضحي ويجود بحياته من أجل غيره.[1]

والتعريف الجامع في هذا المعنى هو أن:"الإحسان هو بذل جميع المنافع من أي نوع كان ،لأي مخلوق يكون ،ولكنه يتفاوت بتفاوت المحسن إليهم وحقهم ومقامهم،وبحسب الإحسان وعظم موقعه ،وعظم نفعه،وبحسب إيمان المحسن وإخلاصه ،والسبب الداعي له إلى ذلك..وللإحسان نوعان:أحدهما واجب وهو الإنصاف والقيام بما يجب عليك للخلق بحسب ما توجه إليك من الحقوق.والثاني:إحسان مستحب ،وهو ما زاد على ذلك من بذل نفع بدني أو مالي ،أو علمي ..فكل معروف صدقة وإحسان."[2]

---

[1]-ينظر:الأخلاق الإسلامية وأسسها .عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني،دار القلم ط5 ،1999،ص375-377

[2]-بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار،عبد الرحمان بن ناصر السعدي،مكتبة الملك فهد،ط1، 1423،الرياض،ص128.

ج-باعتبار الترادف والتقارب في المعنى: عبر القرآن الكريم عن الإحسان بألفاظ مقاربة له في المعنى متخيرا لها بدقة حسب اقتضاء السياق والقصد من أبرزها نذكر:

1-مادة (ف ض ل):"والفضل الزيادة عن الاقتصار،وهو ضربان:محمود كفضل العلم والحلم ومذموم كفضل الغضب على ما يجب أن يكون عليه.والفضل في المحمود أكثر استعمالا."[1]

ومثاله قوله تعالى: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُۥ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾﴾ [سورة هود آية 3]

"عن ابن مسعود في تأويل قوله تعالى(ويوت كل ذي فضل فضله) قال:من عمل سيئة كتبت عليه سيئة ،ومن عمل حسنة كتبت له عشر حسنات،فإن عوقب بالسيئة التي كان عملها في الدنيا بقيت له عشر حسنات وإن لم يعاقب بها في الدنيا ،أخذ من الحسنات العشر واحدة وبقيت له تسع حسنات ،ثم يقول :هلك من غلبت آحاده أعشاره."[2]

وقال مجاهد:"ما احتسب به من ماله ،أو عمل بيده ورجله،أو كلمة أو ما تطوع به من أمره كله."[3]

2-مادة (ن ع م):"والنعمة الحالة الحسنة.والإنعام إيصال الإحسان إلى الغير."[4]

3-مادة(خ ي ر) : "والخير ما يرغب فيه الكل كالعقل والعدل والفضل"[5]

﴿ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي

---

[1]-المفردات في غريب القرآن.ص381

[2]-جامع البيان عن تأويل آي القرآن،ابن جرير الطبري،ص314

[3]-المصدر نفسه ،ص314

[4]-المفردات في غريب القرآن ص499

[5]-المصدر نفسه،ص160

ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٩٦﴾﴾ [سورة البقرة آية 196]

4-مادة (ج م ل):"والجمال الحسن الكثير وذالك ضربان:أحدهما يخص به الإنسان في نفسه أو بدنه أو فعله ،والثاني ما يوصل منه إلى غيره." [1]ومثاله قوله تعالى: ﴿ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ﴿٨٥﴾﴾ [سورة الحجر آية 85]

5-مادة(ص ل ح):الصلاح ضد الفساد وهما مختصان في أكثر استعمال بالأفعال،وقوبل في القرآن تارة بالفساد وتارة بالسيئة "

ومثاله قوله تعالى: (إِلاَّ ٱلذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَاعْتَصَمُواْ بِاللَّهِ) [سورة النساء آية 145]

6-مادة(ك م ل):"وكمال الشيء حصول ما فيه الغرض منه فإذا قيل كمل ذالك فمعناه حصل ما هو الغرض منه"[2]

ومثاله قوله تعالى:﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [سورة المائدة آية 4]

فالخير والنعمة والفضل وغيرها تشير إلى معان قريبة من الحسن والإحسان،مع وجود اختلافات طفيفة بينها ،يفرضها السياق والمعنى المراد في الآية.

د-باعتبار التضاد:

وضد الحسن السوء و القبح "وهو كل ما يغم الإنسان من الأمور الدنيوية والأخروية ومن الأحوال النفسية والبدنية الخارجة من فوات مال أو جاه أو فقد حميم."[3]

ووردت في القرآن على وجوه[4]منها:

---

[1]-المفردات في غريب القرآن،ص97

[2]-المصدر نفسه،ص441

[3]-المصدر نفسه،ص252

[4]-ينظر جميع الوجوه المذكورة في:نزهة الأعين النواظر،ص367

1-**الشدة**: وذلك في مثل قوله تعالى:﴿ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُم

2-**العذاب**:وذلك في مثل قوله تعالى: (إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَالسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾) [سورة النحل آية 27]

وقوله سبحانه:﴿ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ﴿١٢﴾﴾ [سورة الرعد آية 12]

3-**الشرك**:وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة النحل آية 28]

4-**الذنب**:وذلك مثل قوله تعالى: (إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ) [سورة النساء آية 17]

5-**الضر**:وذالك في مثل قوله تعالى: ﴿ قُل وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ﴿١٨٨﴾﴾ [سورة الأعراف آية 188]

وقوله سبحانه: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [سورة النمل آية 64]

وبالجملة فالسوء بجميع صيغه في القرآن قد حمل أضداد المعاني التي حملها الإحسان بصيغه ومشتقاته ،فكثيرا ما يجتمع في الآية الواحدة الأمر بالإحسان والنهي عن الإساءة ليكتمل المعنى، فالحسنة والسيئة مثلا كثيرا ما يتتبعان في الآية بمعاني متضادة تماما،وبذلك تنبأ وجوه معاني الحسنة عن معاني السيئة بالتضاد.

فالإحسان –من خلال ما سبق–كلمة جامعة لمعاني الخير التي بها يحسن حال الإنسان في الأولى والآخرة.فالإحسان يتضمن معنى الخير والصلاح والكمال والفضل والنعمة ،وغيرها من معاني الخير .ليكون بذالك كلمة تدعو الإنسان إلى العطاء والبذل إنْ في الجانب العقدي وما يتعلق به من عبادة الله سبحانه،أو في الجانب الأخلاقي في علاقته بغيره فيعطي ويبذل ويؤثر دون انتظار لأجر

من أحد،كما على الإنسان الإحسان في أي عمل يقوم به فلا يخرج من يده إلا متقنا متميزا،ليستحق الإنسان بهذا صفة الإحسان التي يبلغ بها درجة المحسنين الموعودين بالأجر العظيم والمحبة الربانية.

المطلب الثالث:مصدر الإحسان:

خلق الله الإنسان بطبيعته التي حوت الخير والشر ،وهو ما جعله يميل تارة إلى هذا وتارة إلى ذاك ،لذلك كان محتاجا إلى مشرع له وحاكم عليه يهديه إلى الخير والحسن في جميع أحواله ومن هذا المنطلق ثارت نقاط استفسار كثيرة ،بدءا بالسؤال عن الحاكم الحق وأحقيته للتشريع والحكم ،ووصولا إلى أفعال الإنسان خلقها ووصفها بالحسن والقبح؟

وقد اعتبرت:"مسألة الحسن والقبح كلامية من جهة البحث عن أفعال الباري أنها هل تتصف بالحسن ؟ وهل تدخل القبائح تحت إرادته ؟وهل تكون بخلقه ومشيئته ؟"[1]

وأهم الفرق التي خاضت في المسألة هم العقليون ممثلون في المعتزلة وهم نظرا لأصولهم ومعتقداتهم المبنية على تحكيم العقل لم يجدوا صعوبة في أن يقرروا صلاحية الإنسان للتشريع من هذه الناحية . فقد انطلقوا من أن الله سبحانه منزه عن القبائح وأنها لا تدخل تحت إرادته ،ورتبوا على ذلك أن أفعال العباد من خلقهم لاشتمالها على القبح كالظلم والفحش،ونظرا لاعتمادهم الكبير على العقل فقد قالوا أن العقل هو الحاكم بالحسن والقبح ،فالفعل حسن وقبيح في نفسه و نسبوا إلى العقل الحكم والكشف ...فالعقل-عندهم –يعلم العلم الكامل بحسن الفعل وقبحه ،ومن ثم يحكم عليه.[2]

ورد عليهم أهل السنة أن الأفعال في نفسها حسنة وقبيحة ،وأنه يدرك حسنها وقبحها بالعقل ،لكن لا يترتب على حسنها ثواب ولا على قبحها عقاب إلا بالشرع .[3]

---

[1]-الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية،ص205

[2]-ينظر:المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها،عواد بن عبد الله المعتق،مكتبة الرشد،الرياض،ص163

[3]-ينظر المرجع نفسه،ص167

وقال ابن تيمية :"أفعال العباد خلقا لله ،وكسبا للعباد بمنزلة الأسباب للمسببات فالعباد لهم قدرة ومشيئة وإرادة ولكنها تحت قدرة الله ومشيئته"[1]

ولا شك أن العقليين قد تغالوا في اعتقادهم بعصمة العقل الإنساني ،إذ أن إصلاح كثير من شؤون حياتنا كان عصيا على إدراكنا لولا التشريع الحكيم الذي جاء جازما بما لا يحتمل الشك بحسنها أو قبحها ،فمثلا في طريقة أداء الإنسان للعبادة كالصلاة ، لم يكن لجميع العقول البشرية —على اختلافها– لتتفق على طريقة واحدة وتعتبرها الأصل الذي لا خروج عليه ،لولا الشرع الحكيم الذي ضبط الأمر وقوّمه .ولو ترك الأمر للبشر فإما أنهم يبقون متحيرين ولا يفعلون شيئا وإما أن يلجؤا إلى كل ضرب من ضروب التخيل والابتداع.[2]

ولعل السبب في ذلك راجع إلى أن العقل الإنساني متأثر بالطبيعة البشرية ،فقد يغلفه الهوى ،وقد تفسده العادات ،لذلك وجب أن يتعرض لنوع من الكبح ،وأن يظفر بجملة من التوجيهات .وإلا فإن العقل بتقادم الزمن قد يخلي مكانه تدريجيا للأوهام وضروب الشك ،وصنوف الضلال ؛و الأمثلة في واقعنا كثيرة عن الاتجاهات التي استقلت بعقلها فأوردها المهالك (الإلحاد،الشيوعية ،الرأسمالية..)[3]

وإذا كان العقل أداة الإنسان للإدراك والمعرفة، وتبيّن الإنسان أن العقل نفسه قد يضل ويزيغ ،وجد الإنسان نفسه حائرا باحثا عن المخلص له من الشكوك؟

وببحثه المتواصل يدرك أن لا أحد يعرف جوهر النفس ،وشريعة سعادتها وكمالها ،مع الصلاحية الكاملة والبصيرة النافذة غير خالق وجودها ذاته .قال تعالى: ﴿أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [سورة الملك آية 15][4]

---

[1]-المرجع نفسه،ص175

[2]-ينظر دستور الأخلاق في القرآن،محمد عبد الله دراز،تحقيق:عبد الصبور شاهين،،مؤسسة الرسالة،دار البحوث العلمية، ص31-34

[3]-ينظر:المرجع نفسه،ص31

[4]-ينظر:المرجع نفسه، ص33

ومن هنا يتبين للإنسان أن سعادته ونجاته في أن يسير وفق الشرع الإلهي في كل أموره ،وأن يرجع في حسن الأمور وقبحها إلى الخالق سبحانه .كيف لا وقد قدم له تشريعا متكاملا شمل حياته بجميع مجالاتها ،مرسلا رسله بكلامه ،حتى كان آخر كتبه إليهم القرآن .وقد أيده سبحانه بالحفظ الأزلي ،وجعله معجزته الخالدة ،ليبقى شاهدا عبر الزمن على حسن الحكم الإلهي وإحسانه.

وبيقيننا أن الخالق وحده هو من يحق له الحكم بالحسن والقبح ،ننطلق مدفوعين بفضولنا واستفساراتنا عن تطبيقات هذا الحكم للبحث في التشريع الحكيم عن تجليات الإحسان وآثاره بدءا بكتابه المعجز الذي ينطق بالإحسان في جميع أجزوفي ختام هذا المبحث نخلص إلى النقاط الآتية:

الإحسان مشتق من مادة وأصل (ح س ن)وهذه المادة بجميع اشتقاقاتها تعني الجمال وفعل الجميل وإيصاله إلى الغير.

ومادة الإحسان في القرآن قد حملت معاني متعددة لاختلاف السياق الذي ترد فيه ،كما نجدها باشتقاقات مختلفة أهمها:الحسنة،محسن،أحسنُ،الحسنى...وعلى كثرة المعاني التي تحملها إلا أنها لا تخرج عن النعمة والفضل والخير والصلاح.وهي في آيات كثيرة تأتي لبيان ثواب المحسنين وما خصهم الله به من الأجر العظيم.

أما عن تلخيص معاني الإحسان وحصرها فنجدها تأتي على معنيين غالبا:أولهما أن تأتي بمعنى زيادة الإيمان بلوغا إلى درجة الإخلاص والتوحيد الحق.أما الثاني فأن تأتي بمعنى العطاء والبذل من كل المنافع والممتلكات ،وفي جميع الأزمنة ومهما كانت الظروف.

والإحسان بعد ذلك قد يعبر عنه بألفاظ مقاربة له في المعنى مع بعض الفروق الطفيفة التي يقتضيها السياق والمراد وأهمها:الفضل،الخير،الصلاح ،النعمة،الكمال،والجمال...

كما نجد التعبير في القرآن عن الإحسان بنفي ضده ،وهو الإساءة،إذ كل ما نفيت إساءته ثبت إحسانه ،وكثيرا ما يتتابع في الآية الواحدة الأمر بالإحسان والنهي عن الإساءة ،لتأكيد المعنى.

وقد يتساءل الإنسان عن الحاكم بحسن الشيء وقبحه،لأن ما لا يثبت حسنه لا يمكن الإحسان به.فنجد عند أهل السنة أن الشرع وحده هو من يحق له الحكم بالحسن والقبح ،لأن المشرع سبحانه هو العالم بخلقه وما يصلح لهم.

المبحث الثاني:إحسان الله عز وجل

المطلب الأول:منشأ الإحسان وأصله.

المطلب الثاني:عموم إحسان الله وخصوصه.

المطلب الثالث:واجب الإنسان نحو خالقه والمحسن إليه.

المبحث الثاني:إحسان الله عز وجل.

إذا علمنا أن أهم المعاني التي يحملها لفظ الإحسان،هو العطاء والإنعام والتفضل،نتساءل عن مبدإ هذا الفضل والعطاء، وعن الفاعل له وعن غاياته من التفضل والإنعام.فنجد في القرآن أن الله سبحانه هو المتفضل الحق ،الذي خلق وأبدع وصور،ورزق وهدى ودبّر كل أمور خلقه.فما حقيقة تكريم الإنسان خاصة؟وما أعظم نعم الله سبحانه على الإنسان؟ثم ما واجب الإنسان نحو المحسن سبحانه؟

المطلب الأول:منشأ الإحسان وأصله.

ابتدأت سورة النساء بالإشارة إلى خلق الإنسان من نفس واحدة ،والاستدلال بذالك على وجوب تقوى الخالق سبحانه، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيراً وَنِسَآءً وَاتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَالاَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ۝١﴾ [سورة النساء آية 1]

وببحث الإنسان عن أصل خلقه يجد أن وجوده كان بتعلق مشيئة الله سبحانه بذلك ،وأن إحسانه تعالى شمل –بعد خلقه –كل دقائق حياته.فما حقيقة خلق الإنسان؟وما الحكمة وراء خلقه؟

الفرع الأول:نعمة الخلق والإيجاد.

خلق الله الإنسان بفضله فأوجده بعد أن كان معدوما وأحياه بعد أن كان ميتا،وفي هذا يقول الرازي:"الإيجاد غاية الإنعام ونهاية الإحسان..وخلق الإنسان من نفس واحدة دليل على كمال قدرة الخالق وكمال علمه وكمال حكمته وجلاله" [1].والمقصود بالنفس الواحدة في قوله تعالى:﴿ٱلذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ آدم عليه السلام:فكيف كان خلقه ؟وبماذا اختصه ربه عن غيره من الكائنات؟

[1]–تفسير الرازي،(9/64-65)

وهي أسئلة كانت الأعمار لتفنى في سبيل كشف غموضها وسبر أغوارها لولا أن الله – سبحانه وتعالى– تكفل بالجواب عنها في تشريعه المحكم فنجد القرآن الكريم ينبئنا عن خلق آدم في آيات كثيرة ،فيذكر لنا تارة مادة خلقه فيقول: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [سورة آل عمران 58]وقال سبحانه:﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾﴾ [سورة الفرقان آية 54]

"وكان خلق آدم من طين:أي التراب والماء وقد مر هذا الطين بأحوال وأطوار ولذالك جاء التعبير عنه في القرآن بألفاظ مختلفة باعتبار صفات الطين وأحواله المختلفة" [1]مثل:طين–طين لازب–حمأ–حمأ مسنون–صلصال..

"ثم خلق منه زوجه الأنثى على مثل صورته وصفاته باستثناء الأنوثة وخصائصها.ثم بث منهما رجالا كثيرا ونساء عن طريق التناسل من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة ثم جنينا كاملا دبت فيه الروح البشرية ،فإذا تمت دورة حمله نزل من بطن أمه وليدا كاملا."[2]

الفرع الثاني:الإحسان في خلق الإنسان.

ثم لفت نظرنا القرآن إلى جمال تقويم الإنسان وخلقه فقال سبحانه: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [سورة التين آية 4] "والمراد بذلك جعله على أحسن ما يكون صورة ومعنى فيشمل ما له من انتصاب القامة وحسن الصورة والإحساس وجودة العقل وغير ذلك ومن أمعن نظره في أمره وأجال فكره في دقائق ظاهره وسره رآه كما قال بعض الأجلة مجمع مجرى الغيب والشهادة."[3]

وبالنظر إلى مادة خلقه (التراب والماء) نجد أن التراب في الطبيعة مادة جامدة لاحس فيها ولا حياة بل هو مداس الأقدام وكفى بذلك ذلا ومهانة،وأما الماء الذي خلق منه فقد وصفه سبحانه

---

[1]–المسائل العقدية ،ألطاف الرحمان بن ثناء الله،إشراف:سعود بن عبد العزيز،موسم1423/1422،ص107

[2]–الأخلاق الإسلامية وأسسها،ص334

[3]–روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،محمود شكري الألوسي،دار إحياء التراث العربي،بيروت،لبنان،(175/30)

فقال:﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ [سورة المرسلات آية 20] فليس للإنسان أصل أو طبيعة خلقة يفخر بها وإنما كان تشريفه فضل من الله عليه،وفي هذا يقول الآلوسي:"ومما يدل على أحسنية تقويمه أن الله تعالى رسم فيه من الصفات ما تذكره بصفاته عز وجل وتدله عليها فجعله عالما مريدا قادرا..ويكفي في هذا الباب وهو القول الفصل أن الله تعالى خلقه بيديه وأمر سبحانه ملائكته عليهم السلام بالسجود له وهم المكرمون لديه ."[1]

قال تعالى: ﴿قَالَ يَـٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [سورة ص آية 74] واختصاصه سبحانه الإنسان بخلقه بيده[2] وهو الذي يقول للشيء كن فيكون،فيه مزيد عناية وإكرام له.

وأفضلية الإنسان على غيره تقوم على دليلين هما:

1-دليل النقل:قال سبحانه: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَـٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَفَضَّلْنَـٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾) [سورة الإسراء آية 70]

"ولا إشكال في معرفة أن الإنسان أفضل مما عدا الملائكة ،ففي أفضلية الإنسان على الملائكة خلاف والجمهور على أن خواص البشر من الأنبياء والصديقين أفضل من خواص الملائكة :وهم الذين خصهم الله بالذكر في كتابه الكريم ،وعوام البشر أفضل من عوام الملائكة .ولهم أدلة نقلية وأخرى عقلية على ذلك." [3]

2-دليل العقلي:فيتمثل في أن النفس البشرية تمتاز عن سائر الموجودات بالقوة العاقلة المدركة لحقائق الأشياء وهي بذلك أول مفتاح لتسخير كثير من مظاهر الكون للإنسان ولجعلها تحت سلطانه. صفات ركبها الله تعالى في الإنسان هي من جملتها فيوضات من صفات الربوبية ،كالعلم

---

[1]-روح المعاني،(175/30)

[2]-وقد ورد عن العلماء في صفة اليد كلام كثير يمكن الرجوع إليه في :مجموع فتاوى ابن تيمية،أحمد ابن تيمية الحرّاني ،دار الوفاء(217/6) .وكتاب مختصر الصواعق المرسلة،ابن القيم الجوزية ،اختصار محمد الموصلي،أضواء السلف، ط1 ،2004، الرياض(107/3)

[3]- كبرى اليقينيات الكونية ،ص245-24

، والقدرة، والتكبر....[1]

الفرع الثالث:الحكمة من خلق الإنسان

وإذا شاهد الإنسان عظمة خلقه ،ووقف على آثار الإبداع المبهر في نفسه راح يتساءل عن الحكمة من هذا الخلق وعن عمله في هذه الأرض؟وإذ القرآن يجيبه بأن خلقه لم يكن عبثا أو صدفة. وإنما خلق لوظيفة عظيمة ،وفي هذا يقول سبحانه: ﴿۞ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلِانسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [سورة الذاريات آية 56].

ووفقا لهذا "فقد اقتضت حكمة الله الباهرة أن يختار الإنسان فيجعله سيد هذا الكون ويجعل سائر مظاهره وموجوداته مسخرة له قائمة بخدمته ،وأن يكل إليه عمارته وأمر تنظيمه ،فذلك هو المعني بالخلافة في قوله:﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلاَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيَ أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة البقرة آية 29]وهو المقصود بالاستعمار في قوله: ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلاَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ [سورة هود آية 60]"[2]

ونظرا لعظم المهمة وثقلها على الإنسان فقد جهزه الخالق سبحانه بملكات وصفات تعينه على حسن أداء مهامه وإتقانها .وعلى رأس هذه الملكات أن نفخ فيه الروح التي هي سبب الحياة وأضافها لنفسه فقال : ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة الحجر آية 29]

قال الراغب:"وإضافة الروح إلى نفسه سبحانه إضافة ملك ،وتخصيص الإنسان بالإضافة تشريفا له وتعظيما"[3]

وبعد أن وهبه الحياة ،عرف حاجته إلى ما يمكّنه من إدارة شؤون هذا الكون الذي أمر بتعميره ،"فبث فيه سبحانه صفة العقل وما يتفرع عنها من العلم والإدراك والإرادة والقدرة على تحليل

---

[1]-ينظر:المصدر نفسه،ص247-248

[2]-كبرى اليقينيات الكونية ،محمد سعيد رمضان البوطي،دار الفكرالمعاصر،بيروت،دار الفكر،دمشق، ط2 ،8198،ص65

[3]-المفردات في غريب القرآن،ص205

الأشياء وسبر أغوارها والوصول إلى ما وراءها ،وبث فيه معنى الأنانية ،وما يتفرع عنها من التروع إلى السيطرة والعظمة والجاه ،ثم بث فيه مجموعة من العواطف والأشواق والانفعالات تعدّ متممة لقيمة تلك الصفات وفوائدها ،كالحب والكراهية والغضب وما إلى ذالك..ونظرا لأهمية هذه الصفات في استقامة حياة الإنسان فقد سماها سبحانه بالأمانة ،وبين مدى أهميتها وعظم شأنها في قوله:﴿۞ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَّحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلإِنسَـٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُوماً جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [سورة الأحزاب آية 72]"[1]

قال ابن القيم:"ومن تأمل بعض هدايته المبثوثة في العالم يدرك أن من لم يهمل الحيوانات سدى و لم يتركها معطلة بل هداها هداية تعجز عقول العقلاء عنها ،كيف يليق به أن يترك النوع الإنساني –الذي هو خلاصة الوجود الذي كرمه وفضله على كثير من خلقه– مهملا سدى معطلا لايهديه إلى أقصى كمالاته وأفضل غاياته ..ولذلك أنكر ذلك على من زعمه ونزه نفسه عنه ،وبين أنه يستحيل نسبة ذلك إليه وأنه يتعالى عنه، فقال تعالى: ﴿۞ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ ﴿١١٦﴾ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٧﴾﴾ [سورة المؤمنون آية 117]"[2]

وبالنظر إلى هذه النعم التي تفضل الله بها على الإنسان–بدءا من خلقه وتصويره ،إلى استخلافه في أرضه ،ووقوفا عند الأمانة التي خصه بها– يبدوا بديهيا أن الإنسان سيمتثل أمر خالقه ولا ينحرف أبدا عن سبيله وهو المكرم دون سابقة إحسان منه.فهل التزم الإنسان السبيل ؟وهل وفّى بالعهد الذي أخذه عليه رب العالمين في قوله: ﴿وَإِذَ اَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّـتِهِمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [سورة الأعراف آية 172]؟

المطلب الثاني:عموم إحسان الله وخصوصه.

رغم كل ما حبا الله به الإنسان من نعم ،يبقى الإنسان عاجزا ضعيفا عن الاستغناء بنفسه في

---

[1]–كبرى اليقينيات الكونية،ص65

[2]–بدائع الفوائد، ابن قيّم الجوزية،تحقيق:علي بن محمد العمران،دار عالم الفوائد،(146/2)

كسب رزقه وتدبير أموره والثبات على الطريق السوي .فما سبيل الإنسان في تحقيق ذلك؟ثم ما سبب اختلاف الناس في هذه الأمور الثلاث؟

الفرع الأول:هبة الرزق .

بعد اعتراف الإنسان بعجزه ليس له إلا أن يتوجه إلى الغني الذي لا يفتقر لغيره،والقادر الذي لا يعجزه شيء ،والعالم بفقر الإنسان وحاجته ،والذي سمى نفسه "الرزاق"فيبتغي من فضله ويرجوا من كرمه وجوده .فكيف هيأ الله الرزق لعباده؟وما سبب اختلاف الأرزاق بينهم؟

وبالنظر والتأمل في حال المخلوقات نجد كثيرا منها مهيأة بصورة خاصة في سبيل ضمان رزق الإنسان واستمرار حياته.وها هو القرآن يدعونا إلى التدبر في آيات الله العظيمة لتحقيق الرزق للإنسان.

﴿وَهُوَ ٱلذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [سورة الأنعام آية 100]

قال الطبري:"إن في إنزال الله تعالى من السماء الماء الذي أخرج به نبات كل شيء والخضر الذي أخرج منه الحب المتراكب ،وسائر ما عدد الله في هذه الآية من صنوف خلقه(لآيات).إذ أنتم نظرتم إلى ثمره عند عقد ثمره وعند ينعه وانتهائه ،فرأيتم اختلاف أحواله وتصرفاته من زيادته ونموه علمتم أن له مدبر ليس كمثله شيء ولا تصلح العبادة إلا له دون الآلهة والأنداد وكان فيه حجج وبرهان وبيان."[1]

وزاد سبحانه تكرما على الإنسان بأن نوّع له مصادر هذا الرزق وكثرة أسبابه فقال سبحانه:

﴿وَهُوَ ٱلذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾﴾ [سورة

[1]-تفسير الطبري،(452/9)

النحل آية 14]

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَالأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [سورة النحل آية 69

وقضية الرزق ذات وجهين هما:

الوجه الأول :"وجه الكسب السيي:،وهو ما يمارسه الإنسان بعمله وسعيه وبحثه عن رزقه."[1]وهو وجه لا يختلف فيه الناس لأنه خاضع للأسباب وآثاره واضحة في حياة الناس.

الوجه الثاني :"وجه الفضل الرباني بتقدير الرزق،وتيسير الأسباب ،والتوفيق في العمل ،ثم دفع الموانع وتحقيق النتائج."[2]وهو الوجه الذي تنبثق منه مجموعة استفسارات أهمها :لماذا نرى في دنيا الناس وأحوالهم اختلاف الأرزاق بينهم وهم جميعا عبادا لله سبحانه؟وما حكمة هذا الاختلاف؟

والجواب على ذلك:" أن عطاء الله سبحانه في كل الأحوال مرتبط بعلمه وحكمته ،فهو يعطي خلقه وفق مشيئته التي تقتضيها حكمته ،دون أن يكون له غاية من عطائه سبحانه أي عوض يرجوه من خلقه ..ولذلك فإن الله تبارك وتعالى يمد بعطائه أهل طاعته وأهل معصيته ،حتى الكافرين به والجاحدين له."[3]

وقد جعل الله سبحانه الدنيا دار ابتلاء ،واقتضى ذالك امتحان الناس بالقبض والتضييق آنا وبالبسط والتوسعة آنا آخر ،ثم إن الله سبحانه يلفت نظر الإنسان من خلال قبضه إلى أن الله هو الخالق الرازق ،فإن أمسك رزقه لم يجد غيره يرزقه فيتعظ ويؤمن به ويطلب رزقه منه ،قال

---

[1]-الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمان حبنكة الميداني،دار القلم،ط1999،5،(516/2)

[2]-المصدر نفسه،(517/2)

[3]-المصدر نفسه ،(372/2)

تعالى:﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾﴾ [سورة الملك آية 22]،كما أن حكمته-تعالى- اقتضت عدم البسط في الرزق للناس لئلا يكون سببا في بغيهم وفي هذا يقول سبحانه: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة الشورى آية 25][1]

وفي تفسير هذه الآية يقول الرازي:"والمقصود أنه عرّف رسول الله صلى الله عليه وسلم كونه ربا .والرب يربي المربوب ويقوم بإصلاح مهماته ودفع حاجاته على مقدار الصلاح والصواب فيوسع الرزق على البعض ويضيقه على البعض ،والقدر في اللغة التضييق ..وإنما وسع على البعض لأن ذلك هو الصلاح لهم ...ثم قال: ﴿ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة الشورى آية 25] يعني أنه تعالى عالم بأن مصلحة كل إنسان في أن لا يعطيه إلا ذلك القدر ،فالتفاوت في أرزاق العباد ليس لأجل البخل بل لأجل رعاية المصالح."[2]

وفي تقدير الله المحكم لما فيه صلاح عباده دليل جلي على ربوبيته لهم وحسن تدبير شؤونهم .فما حقيقة التدبير ؟وما مظاهره في حياة الإنسان؟

الفرع الثاني:تدبير الله –عز وجل–

عبر سبحانه في مطلع سورة النساء عن نفسه بالرب دون غيره من أسمائه وهو ما يجعلنا نستفسر :عن دلالة هذا الاسم وما يلزم منه؟وبالرجوع إلى كتب اللغة نجد أن معنى الرب يجمع معان عدة :

ف:"مادة(ر ب) أصل يدل على إصلاح الشيء والقيام عليه ،فالرب المالك والخالق والصاحب .والرب المصلح للشيء،ورب كل شيء مالكه ومستحقه ،وقيل صاحبه وكل من ملك شيئا فهو ربه.وتطلق الرب في اللغة على:المالك والسيد والمدبر والمربي والقيّم والمنعم.قال ابن الأنباري:الرب ينقسم إلى ثلاثة أقسام:يكون الرب المالك ،ويكون الرب السيد المطاع ،ويكون الرب المصلح.ولأن الله سبحانه هو أعظم من تصدق في حقه هذه الأوصاف جميعا فقد قال أهل اللغة أن

[1]-ينظر :الأخلاق الإسلامية وأسسها:(2/371-374)

[2]-تفسير الرازي،(20/197)

الرب هو الله عز وجل ولا تقال في غيره إلا بالإضافة."[1]

ولأن من مقتضيات الربوبية إصلاح الرب للمربوب ،حق لنا البحث والكشف عن مظاهر إصلاح الله سبحانه لحال الإنسان،وتدبير شؤونه؟

ونعود إلى أصل الإنسان وخلقه لنستبين تاريخ ابتداء التدبير ومدى استمراره ،وبتتبع التدبير في التشريع نجده كثيرا ما يعرف بالقدر أو التقدير وبالرجوع إلى مادة(ق د ر)في اللغة نجد أهم معانيها اثنان هما:الأول إعطاء القدرة،والثاني جعل الأشياء على مقدار مخصوص حسبما اقتضت الحكمة.[2]

والمعنى الثاني هو المندرج في التدبير،ويمكن تقسيم قدر الله سبحانه إلى ثلاثة مراحل[3]:

1-قدر قبل الخلق: إن من تمام عناية الله سبحانه بخلقه وإتقانه لصنعه أنه دبّر الأمور قبل الخلق بزمن بعيد،فعن عبد الله بن عمر بن العاص قال :سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول:"كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء."[4]

فإذا كان البشر يتباهون بجودة صناعتهم ويردون سر إتقانها إلى دقة هندستها وتصميمها قبل صنعها ،فلله المثل الأعلى الذي قدّر أقدار الخلائق قبل خمسين ألف سنة.

2-قدر في المراحل الأولى من الخلق :ومن تمام عنايته سبحانه بالإنسان خاصة أن التدبير والتقدير لأموره اختص بالاستمرار ،فقدر له سبحانه تقديرا آخر-بعد التقدير العام المذكور-وهو في بطن أمه:وفي هذا يقول سبحانه:﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [سورة عبس آية 19]

قال الطبري:"فقدره:أحوالا ،نطفة تارة ثم علقة أخرى ،ثم مضغة إلى أن أتت عليه أحواله "[5]

وقد بيّن النبي صلى الله عليه وسلم أن هذا التقدير الخلقي قد قرن بتقدير آخر غيبي ،فعن عبد الله قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق :"إن أحدكم يجمع خلقه في

---

[1]-ينظر:معجم مقاييس اللغة،(381/2)؛لسان العرب،(1546/1-1547)

[2]-ينظر المفردات في غريب القرآن،ص394-365

[3]-ينظر هذا التقسيم بالتقريب :شفاء العليل(27/1)

[4]-صحيح مسلم،مسلم ابن الحجاج،كتاب القدر،باب:حجاج آدم وموسى عليهما السلام،رقم:2653،(2044/4)

[5]-تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن،ابن جرير الطبري،تحقيق:التركي،دار هجر، (111/24)

بطن أمه أربعين يوما ثم يكون في ذالك علقة مثل ذالك ،ثم يكون في ذالك مضغة مثل ذالك ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ،ويؤمر بأربع كلمات : بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد ..."[1]

وهنا يرد الإشكال التالي:أليس سبق التقدير بالسعادة والشقاوة داع إلى الكسل وترك العمل؟

وقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم فأجاب بما يغني .فعن عمران ابن حصين قال:قال رجل:يارسول الله:أيعرف أهل الجنة من أهل النار؟ قال:نعم.قال: فلم يعمل العاملون؟قال:كل يعمل لما خلق له.أو لما يسر له."[2]

قال ابن القيم"اتفقت الأحاديث أن القدر السابق لا يمنع العمل ولا يوجب الاتكال عليه ،ولهذا لما سمع بعض الصحابة ذلك ،قال:ما كنت أشد مني الآن .وهذا ما يدل على فقه الصحابة ودقة أفهامهم وصحة علومهم ،فإن النبي صلى الله عليه وسلم أخبرهم بالقدر السابق وجريانه على الخليقة بالأسباب ،فإن العبد ينال ما قدر له بالسبب الذي أقدر عليه ومكّن منه وهيّء له ،فإذا أتى بالسبب أوصله إلى القدر الذي سبق له في أم الكتاب ،وكلما زاد اجتهادا في تحصيل السبب كان حصول المقدور أدعى إليه.وهذا كما إذا قدر لأحد أن يكون أعلم أهل زمانه فإنه لا ينال ذلك إلا بالاجتهاد والحرص على التعلم والأسباب التي بها مرام معاشهم ومصالحهم الدنيوية ،وهكذا في مصالحهم الأخروية "[3]

وهنا تتجلى حكمة الله سبحانه في تشريعه فقد شرّع ما يتناسب مع الفطرة الإنسانية فيكتمل نقص الفطرة في ضلالها واعوجاجها باستقامة الشرع وثباته فينجبر بذالك ضعف الإنسان وقصور عقله عن إدراك ما لا يدخل تحت حسه، فيكون أشد اجتهادا بعد ذالك.

3-قدر بعد الخلق:وقد استمر تقديره سبحانه لشؤون خلقه بعد خلقهم ،وقد استدل العلماء على

---

[1]-صحيح مسلم.مسلم بن الحجاج النيسابوري،تحقيق:محمد فؤاد عبد الباقي،دار إحياء التراث العربي،بيروت،كتاب :القدر،باب:كيفية خلق الآدمي في بطن أمه،رقم:2634،(2036/4)

[2]- الجامع الصحيح،البخاري،كتاب القدر ،باب :جف القلم على علم الله وقوله (وأضله الله على علم)،رقم:6596،(209/4)

[3]-شفاء العليل،(77/1)

ذلك بقوله سبحانه:﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة الرحمن آية 27] وجاء في تفسير هذه الآية عن الطبري قال:"يقول تعالى ذكره:كل يوم هو في شأن خلقه فيفرج كرب ذي كرب ويرفع قوما ،ويخفض آخرين، ونحو ذالك من شؤون خلقه.و به قال مجاهد وقتادة."[1]

وفي هذا صورة تسفر عن حسن التدبير الإلهي وإحسانه ،والذي يترهه سبحانه عن العجز والعبث ،ويصفه بالقدرة والحكمة ،فالذي دبّر وقدّر للإنسان قبل خلق السماوات والأرض لم يزل عنه نعمة تدبيره وإصلاحه في نفس من أنفاسه أو لحظة من لحظات حياته وهو العاجز الضعيف في جميع أموره لولا فضل الله وإحسانه .فهل للإنسان بعد هذا إلا أن يستسلم للرب سبحانه ويلزم طريقه ،ويسأله التوفيق و الهداية !

الفرع الثالث:هداية الله–عز وجل–

قدر الله مقادير الخلق كما تبيّن ،فكان في مقاديرهم اختلاف،فمنهم أهل الهداية ومنهم أهل الضلال ،فما المقصود بالهداية ؟وهل للإنسان كسب فيها؟

وبتتبع مادة (ه د ى) في القرآن نجدها تنحصر في أربعة معان ذكرها ابن القيم[2] هي:

1–هداية الخلق: وهو المعنى المذكور في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾ [سورة طه آية 49]

قال ابن القيم:"أي أعطى لكل شيء صورته التي لا يشتبه فيها بغيره ،وأعطى لكل عضو شكله وهيئته ،وأعطى كل موجود خلقه المختص به ،ثم هداه إلى ما خلقه له من الأعمال وهذه الهداية تعم هداية الحيوان المتحرك بإرادته إلى جلب ما ينفعه ودفع ما يضره ،وهداية الجماد المسخر لما خلق له ،فله هداية تليق به ..فهدى الرجلين للمشي ،واليدين للبطش والعمل،واللسان للكلام ،والأذن للاستماع والعين لكشف المرئيات ،وكل عضو لما خلق له."[3]

---

[1]–تفسير الطبري،(212/22-213)

[2]– ينظر :بدائع الفوائد،(145/2-148)؛وشفاء العليل،(281/1-224)

[3]–بدائع الفوائد،(145/2)

2-هداية البيان والدلالة والتعريف: وهو المعنى المذكور في قوله تعالى :﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾ [سورة الشمس آية 8]

جاء في تفسيرها عن الطبري قال:" حدثني علي، قال :ثنا أبو صالح،قال:ثني معاوية،عن علي عن ابن عباس قوله:" ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾ [سورة الشمس آية 8]يقول بيّن الخير والشر." [1]

قال ابن القيم:"وهذه الهداية لا تستلزم الهدى التام ،فإنها سبب وشرط لا موجب ،ولهذا ينتفي الهدى معها ،كقوله تعالى:﴿۞ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝١٦﴾ [سورة فصلت آية 16]أي:بيّنا لهم و أرشدناهم ودللناهم فلم يهتدوا ومنها قوله تعالى:﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢﴾ [سورة الشورى آية 49]"[2]

3-هداية التوفيق والإلهام: وهو المعنى الوارد في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٩٣﴾ [سورة النحل آية 93]

"وهذه الهداية تستلزم أمرين:أحدهما :فعل الرب وهو الهدى .والثاني فعل العبد وهو الاهتداء ،وهو أثر فعله سبحانه فهو الهادي والعبد المهتدي ،قال تعالى: ﴿وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ۖ﴾ [سورة الإسراء آية 97] وقوله: ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٤٣﴾ [سورة الأعراف آية 42] ."[3]

وقد استشكل في هذا النوع:"كيف تقوم حجة الله على خلقه وقد منع الهداية لهم وحال بينهم وبينها؟

فيجاب بأن :حجته قائمة عليهم بتخليته بينهم وبين الهدى وبيان الرسل لهم وإراءتهم الصراط

---

[1]-تفسير الطبري،(440/24)

[2]-بدائع الفوائد،(447/2)

[3]-شفاء العليل،(213/1)

المستقيم حتى كأنهم يشاهدونه عيانا ،وأقام لهم أسباب الهداية ظاهرا وباطنا و لم يحل بينهم وبين تلك الأسباب ،ومن حال بينه وبينها منهم بزوال عقل أو صغر لا تمييز معه أو كونه بناحية من الأرض لم تبلغه دعوة رسله فإنه لا يعذبه حتى يقيم عليه الحجة ،فلم يمنعهم من هذا الهدى و لم يحل بينهم وبينه .(مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ﴿١٥﴾) [سورة الإسراء آية 15]"[1]

وفي ذالك يقول سبحانه:﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [سورة العنكبوت آية 69]

4-الهداية إلى الجنة والنار إذا سيق أهلهما إليهما:

ومن ذلك قوله تعالى:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾﴾ [سورة يونس آية 9]

وقوله سبحانه:﴿۞ ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الصافات آية 22-23]

وبهذا يتضح أن هدايتي الخلق والبيان ثابتتان لجميع الناس على اختلافهم ،أما هداية التوفيق والإلهام فمتوقفة على سعي الإنسان إليها على أنها لا تخرج عن قدر الله ومشيئته وحكمته.

المطلب الثالث:واجب الإنسان نحو خالقه والمحسن إليه.

فإذا علم الإنسان أن وجوده ليس إلا مظهرا من مظاهر إحسان الله وتفضله،أحس بضعفه وعبوديته أمام إحسان الله وتفضله، وهو ما يدعوه للعمل على حفظ النعمة بالشكر عليها والاعتراف بها ،ثم التواضع للمنعم بها والتزام سبيله لنيل مرضاته ودوام النعمة في العاجل والآجل.فما سبيل الإنسان لذلك ،وكيف يمكنه نيل مرضاة الخالق سبحانه؟

[1]-شفاء العليل،(211/1)

الفرع الأول:معرفة الخالق-عز وجل-.

إن أول ما على الإنسان البحث فيه هو معرفة الرب الذي أحسن وتفضل وأنعم ،لأن معرفته ستمكنه من السير في طريقه والعمل بما يحب ويرضى.لكن عجز الإنسان وضعفه عن إدراك ما لا يقع تحت حسه يعيقه عن مراده ،ليبقى طريقه الوحيد هو البحث في الإسلام الذي ثبتت صحته،وسلم من التحريف لما خصه الله به من الحفظ الأزلي الخالد ،ليكون حجة الله على خلقه.ومنه وحده يمكن للإنسان أن يعرف ربه حق المعرفة.

وفي حاجة الإنسان لمعرفة خالقه يقول ابن القيم:"ومعلوم أن حاجتهم-أي الناس- إلى معرفة ربهم وفاطرهم فوق مراتب الحاجات كلها، فإنه لا سعادة لهم ولا فلاح ولا صلاح ولا نعيم إلا بأن يعرفوه ويعتقدوه ،ويكون هو وحده غاية مطلوبهم والتقرب إليه قرة عيونهم ،فمتى فقدوا ذالك كانوا أسوأ حالا من الأنعام ،بل كانت الأنعام أطيب عيشا منهم في العاجل وأسلم عاقبة في الآجل."[1]

ويقول الدهلوي مؤكدا لذلك:"اعلم أن من أعظم أنواع البر الإيمان بصفات الله تعالى واعتقاد اتصافه بها ،فإنه يفتح بابا بين العبد وبينه تعالى،ويعدّه لانكشاف ما هنالك من المجد والكبرياء."[2]

وببحث الإنسان في صفاته وأسمائه سبحانه يجد "أنه سبحانه وصف نفسه بأنه ليس كمثله شيء وأنه لا سميّ له ولا كفءَ له وهذا يستلزم وصفه بصفات الكمال التي فات بها شبه المخلوقين واستحق بقيامها أن يكون ليس كمثله شيء ..."[3]

ويضيف الدهلوي في نفس المعنى قائلا:"المستبصر في صنع الله يستيقن أن هناك طائفة من العلوم يسد بها العقل خلته فيكمل كماله المكتوب له،وتلك الطائفة منها علم التوحيد والصفات،ويجب أن يكون مشروحا بشرح يناله العقل الإنساني بطبيعته لا مغلقا لا يناله إلا من ينذر وجود مثله، فشرح هذا العلم بالمعرفة المشار إليها بقوله سبحان الله وبحمده،فأثبت لنفسه صفات يعرفونها ويستعملونها بينهم ،من:الحياة،والسمع والبصر،والقدرة،والإرادة،الغضب

---

[1]-مختصر الصواعق المرسلة،(121/1)

[2]-حجة الله البالغة،ص122.

[3]-مختصر الصواعق المرسلة،(385/2)

والسخط..وأثبت مع ذالك أنه ليس كمثله شيء في هذه الصفات فهو حي لا كحياتنا ،بصير لا كبصرنا قدير لا كقدرتنا ثم فسر عدم المماثلة بأمور مستبعدة في جنسنا مثل أن يقال:يعلم عدد قطر الأمطار وعدد رمل الفيافي،وعدد أوراق الأشجار.."[1]

الفرع الثاني:حفظ نعم الله–عز وجل–

وبمعرفتنا له سبحانه وإدراكنا لغناه عنا وعن أفعالنا ،وافتقارنا إليه في كل أمورنا.تزداد معرفتنا بقيمة النعم التي خصنا بها دون غيرنا مما خلق،بمحض تفضله وإحسانه ،دون سابقة إحسان منا ولا قدرة لنا على رد الإحسان بمثله عاجلا أو آجلا.فكيف نحفظ نعمه سبحانه، وما مصادرنا لمعرفة الطرق المثلى لحفظ النعمة؟

إن جهلنا بحقيقة النعمة وقيمتها في أحيان كثيرة يجعلنا جاهلين بكيفية حفظها وأداء حقها، فليس أمامنا والحالة هذه إلا البحث في الدستور الإلهي الذي به تستقيم حياتنا.وفي ما يلي بيان ذلك:

1–حفظ نعمة الخلق:

خلق الله سبحانه الكون بكل ما حواه فهو المالك له والمتصرف فيه بمشيئته ،وقد اقتضت مشيئته استخلاف الإنسان عليه .غير أن هذا الإنسان يجب عليه إعماره وفق الإرشاد الإلهي ودون فساد أو بغي أو عدوان.

قال تعالى:﴿وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي ٱلاَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [سورة الأعراف آية 55]

وفسر الآية صاحب المنار بقوله:"لا تفسدوا فيها بعد إصلاح الله تعالى لها لما خلق فيها من المنافع وما هدى الناس إليه من استغلالها والانتفاع بتسخيرها لهم وامتنانه بها عليهم."[2]

وقال أبو السعود:"(ولا تفسدوا في الأرض)بالكفر والعصيان (بعد إصلاحها)ببعث الأنبياء عليهم السلام وشرع الأحكام (وادعوه خوفا وطمعا)أي ذوي خوفا نظرا إلى قصور أعمالكم وعدم

[1]–حجة الله البالغة، شاه ولي الله الدهلوي،تحقيق:سيد سابق،دار الجيل،،ط1، 2005،بيروت ،ص59

[2]–تفسير القرآن الحكيم(المنار)،محمد رشيد رضا ،(460/8)

استحقاقكم وطمع نظرا إلى سعة رحمته و وفور فضله وإحسانه.(إن رحمة الله قريب من المحسنين)."[1]

والإصلاح في الأرض يقتضي المحافظة على جميع ما خلق الله واستغلاله كما أمر ﷻ ،دون تبديل الخلق أو العبث به دون مصلحة.ومن الإصلاح في خلق الإنسان مثلا الحفاظ على نظافة الجسد وسلامته من كل ما قد يضره. واتباع سبيل الشرع في ذلك بالوضوء والغسل والسواك ثم بتجنب الوشم والنمص والتغيير والإضرار.

2- حفظ نعمة الرزق:

بعلم الإنسان بضرورة الرزق لاستمرار حياته وحاجته إلى الرزق في جميع الظروف،حري به أن يسعى إلى شكر المنعم على نعمه ،والعمل الدءوب في سبيل حفظها واستبقائها.

ومن حفظ نعمة الرزق إتباع الهدي الإلهي في استعماله وإنفاقه؛ومما أرشد إليه القرآن أداء حق النعمة وتجنب الإسراف، قال سبحانه: ﴿۞ وَهُوَ ٱلذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفاً اكُلُهُۥ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حِصَادِهِۦ وَلاَ تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لاَ يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [سورة الأنعام آية 142]

ورغم اختلاف أهل التفسير في المقصود بالحق الذي أمر بأدائه أهو الزكاة أو الصدقة [2]،إلا أن الأمر بأدائه وتسميته حقا من باب حفظ النعمة والشكر عليها

أما المعني بالإسراف في الآية:فقال ابن كثير:"قيل أنه نهي عن الإسراف في كل شيء والظاهر من سياق الآية أن يكون عائدا على الأكل ،لما فيه من مضرة العقل والبدن "[3]

وقال الطبري:"قيل أن السّرف الذي نهى الله عنه في هذه الآية مجاوزة القدر في العطية إلى ما يجحف برب المال"[4]

---

[1]-تفسير أبو السعود،أبو السعود،تحقيق:عبد القادر أحمد عطا ،مكتبة الرياض الحديثة،مطبعة السعادة،،(350/2)

[2]-ينظر: تفسير الطبري،(595/9)

[3]-تفسيرالقرآن العظيم،ابن كثير،تحقيق:جماعة،مؤسسة قرطبة،مكتبة أولاد سيدي الشيخ،(190/6)

[4]-تفسير الطبري،(614/9)

وقال ابن عاشور:"التبذير أو الإسراف:تفريق المال في غير وجهه ،فإنفاقه في الفساد تبذير ولو كان المقدار قليلا ،وإنفاقه في المباح إذا بلغ حد السرف تبذير ،وإنفاقه في وجوه البر والصلاح ليس بتبذير .وقد قال بعضهم لمن رآه ينفق في وجوه الخير :لاخير في السرف .فأجابه المنفق:لا سرف في الخير."[1]

وفي صحيح البخاري:قال النبي صلى الله عليه وسلم :"كلوا واشربوا والبسوا في غير إسراف ولا مخيلة."[2]

وفي مقاصد النهي عن الإسراف والتبذير يقول ابن عاشور:"والمقصد الشرعي أن تكون أموال الأمة عدّة لها وقوة لابتناء أساس مجدها والحفاظ على مكانتها.حتى تكون مرهوبة الجانب مرموقة بعين الاعتبار غير محتاجة إلى من قد يستغل حاجتها فيبتز منافعها ويدخلها تحت نير سلطانه."[3]

3- حفظ نعمة الهداية:

خلق الله سبحانه الخلق وهداهم إلى ما به تستقيم حياتهم من أكل وشرب وتنفس ومشي ..ثم زادهم هداية ببيان طريقي الفلاح و الخسران وبين لهم عاقبة السير في كل منهما ثم خلى بينهم وبين الأسباب و لم يجبرهم في اختيار الطريق.وشاء سبحانه أن يهتدي بعضهم بتوفيق الله إلى الحق وأن يضل آخرون..ولأن تحقيق الهداية والثبات عليها هو المحدد لمصيرهم في العاجل والآجل كانوا أشد حاجة لمعرفة سبيل حفظها وأداء حق الشكر عليها .

وفي ذلك يبين ابن القيم أن الهدى التام المطلوب لا يحصل للعبد إلا بمعرفته بما يكون محبوبا لله وما يكون مبغوضا له ،ثم إرادته لفعل ما يحب الله ﷻ وترك ما يكره ،والفعل لما يحب وترك ما يكره،ولا يحصل له ذلك إلا بمعرفته جملة وتفصيلا ومن جميع الوجوه والاستمرار والدوام على ذلك،وهو ما لا يتوفر للإنسان في جميع الأحوال لضعفه ،فهو مفتقر إلى الهداية في كل نفس ،وفي جميع ما يأتيه ويذره،أصلا وتفصيلا وتثبيتا ،ومفتقر إلى مزيد العلم بالهدى على الدوام ،فليس له أنفع ولا هو لشيء أحوج من سؤال الهداية ،ولذالك فقد أمره الله أن يسأله الهداية في نهاره وليله

---

[1]-التحرير والتنوير،(79/15)

[2]-الجامع الصحيح،البخاري،كتاب اللباس،باب:(قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده)،دون رقم،(53/4)

[3]-التحرير والتنوير(79/15)

من خلال صلاته وأن يداوم بعد ذلك على سؤالها .[1]

وإذا كان الإنسان مفتقر مقر بفقره إلى هداية الله في جميع أمره،وجب التزام الخضوع له والاستسلام لأمره تجسيدا لعبوديته لله سبحانه.

الفرع الثالث:تحقيق العبودية لله.

إذا عرف الإنسان ربه من خلال أسمائه وصفاته تقرر عنده لزوما عبوديته له،إذ من مقتضيات ربوبيته سبحانه ملكه للإنسان،أما العبودية فأهم ما تقتضيه الخضوع لأمر المالك والاستسلام له .فكيف يجسد الإنسان عبوديته لله-عز وجل- ؟ وما سبيله لمعرفة واجبه تجاه خالقه والمالك له؟

لا شك أن أول واجب للعبد تجاه مالكه تنفيذ أمره ،وطاعته.فالإنسان ملزم بالامتثال لأمر ربه الذي بيّنه من خلال رسالاته إلى الناس والتي ختمها الإسلام ناسخا ما قبله من التشريعات.

1-الانتهاء عن التكبر والتجبر في الأرض.

دعا الإسلام الإنسان إلى معرفة قدره وأصله المهين الذي خلق منه ،حتى لا يتكبر أو يتجبر في الأرض فيتصف بصفات الخالق ويدّعي ما ليس له من الخلق والفعل ."فالإنسان عبد مملوك لله يتمتع بكثير من الطاقات والصفات السامية ،ولكنه لا يملك شيئا منها ،فهو منفعل بها غير فاعل لشيء منها .ومن ثم فهو خاضع لقانون الله الذي قضى بأن ينشأ في ضعف ثم يتحول من ضعف إلى قوة،ثم يعود من قوة إلى ضعف فموت."[2]فهل لمن كانت هذه حاله أن يتكبر أو يطغى ؟

وفي القرآن قصص لكثير من الطغاة والمستكبرين بدءا بإبليس الذي استكبر عن الامتثال لأمر الله.ثم فرعون الذي طغى وتجبر حتى ادّعي الألوهية :قال تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى ﴾ [سورة القصص آية 38] .وظل على جرمه يتكبر على رسول الله إليه ويسخر منه ويؤذيه ويعثوا في الأرض فسادا وطغيانا حتى جاءه أمر الله بغتة فجعله عبرة وآية.

---

[1]-ينظر:بدائع الفوائد،(449/2)

[2]-مدخل إلى فهم الجذور من أنا؟ولماذا؟وإلى أين؟،محمد سعيد رمضان البوطي،دار الفكر المعاصر ،بيروت،دار الفكر،دمشق،ط2 ،1991،ص112.

ثم ذكر القرآن قارون الذي استكبر على الناس بماله ونسي أن ماله فضل من الله سبحانه عليه،كما ذكر القرآن المستكبر على الاعتراف بالحق بعد معرفته من صناديد قريش والذي قال فيه سبحانه:﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة المدثر آية 18-23]

وببيانه –سبحانه وتعالى- للعاقبة الوخيمة لكل المستكبرين والمتجبرين في الأرض سواء عذابهم الدنيوي أو الأخروي الذي أعده الله لهم في الآخرة حري بالإنسان أن يتعظ ويعرف قدره ويلزمه .

أما عن سبب تكبر الإنسان وطغيانه فيقول سبحانه: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ﴿٧﴾﴾ [سورة العلق آية 6-7] "وهذا يعني أن الإنسان يتجاوز حده ،ويستكبر شأنه ،عندما يتوهم أنه أصبح مستغنيا عن خالقه إلا من عصمه الله تعالى ورأى في عطائه له وإغنائه نعمة تستحق مزيد من الشكر والحمد."[1]

2-الخضوع والتذلل لله :

إذا عرف الإنسان ربه بإحسانه وإنعامه وعرف نفسه بافتقاره وفاقته أدرك أن الله هو المستحق للعبادة من جهة سبق إنعامه ،ومن جهة دوامها ،ومن جهة استغناءه عن مقابل لها.ومن كانت هذه صفاته كان التذلل إليه فضيلة ومكرمة بل واجب في أعناق العباد.

قال الدهلوي:"التذلل يستدعي ملاحظة ضعف في الذليل وقوة في الآخر ،وانقياد وإخبات في الذليل وتسخير ونفاذ حكم في الآخر ،والإنسان إذا خلي ونفسه أدرك لا محالة أنه يقدّر للقوة والشرف والتسخير وما أشبهها ،مما يعبر به عن الكمال ،قدرين:قدر لنفسه ولمن يشبهه بنفسه،وقدر لمن هو متعال عن وصمة الحدوث والإمكان بالكلية."[2]

ومن صور تذلل الرسول صلى الله عليه وسلم لله عند اشتداد كربه قوله:"اللهم إني أشكو إليك

---

[1]-معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة ،سامح عاطف الزين،دار الكتاب اللبناني ودار الكتاب المصري،ط1 ،1991ص70

[2]-حجة الله البالغة، ،ص117

ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس ،أنت رب المستضعفين وأنت ربي.."

3-أداء العبادة:

ولأن الإنسان ضعيف في نفسه فقد يجنح خلال أدائه لحق عبوديته إلى أحد السبيلين فإما أن يتكبر ويتجبر في الأرض ويركن إلى الدنيا وملذاتها مدّعيا أن هذا ما يستوجبه إعمار الأرض والاستخلاف فيها ،وإما أن يجنح إلى التذلل والخضوع فينطوي بنفسه وينعزل لعبادته واعتكافه.وينسى أمر الله له بتعمير الأرض وإصلاحها .وبين هذا وذاك جاء الشرع داعيا إلى الإحسان في أداء الوظيفة المنوطة بهم.فما تعريف العبادة من خلال الشرع؟

قال الراغب:"العبادة أبلغ من العبودية لأنها غاية التذلل ولا يستحقها إلا لمن له غاية الأفضال وهو الله تعالى ولذلك قال:﴿ أَلاَّ تَعْبُدُوٓاْ إِلاَّ إِيَّاهُ ﴾ [سورة الإسراء آية 23]"[1]

قال الدهلوي:"اعلم أن من أعظم أنواع البر أن يعتقد الإنسان بمجامع قلبه بحيث لا يحتمل نقيض هذا الاعتقاد عنده أن العبادة حق الله على عباده .وأنهم مطالبون بالعبادة من الله تعالى بمنزلة ما يطلبه ذووا الحقوق من حقوقهم."[2]قال النبي صلى الله عليه وسلم قال له:"يامعاذ أتدري ما حق الله على عباده ؟"قال :الله ورسوله أعلم .قال:"فإن حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا."[3]

وعن المقصد الشرعي من العبادة يقول الشاطبي :"المقصد الشرعي من وضع الشريعة إخراج المكلف من داعية هواه ،حتى يكون عبدا لله اختيارا،كما أنه عبد لله اضطرارا..والدليل النص الصريح الدال أن العباد خلقوا للتعبد لله والدخول تحت أمره ونهيه."[4]كقوله تعالى:﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَالِانسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [سورة الذاريات آية 56]

من خلال المبحث نستنتج أن الإحسان كله لله ﷻ،تقديرا وتسببا فهو سبحانه من يقدر الخير وهو من يهيء له الأسباب. وإذا علم الإنسان ذالك أيقن أن الله هو المتفضل الحق عليه وأن

---

[1]-المفردات في غريب القرآن،ص319

[2]-حجة الله البالغة،ص129

[3]-الجامع الصحيح،البخاري،كتاب:الجهاد،باب:اسم الفرس والحمار،رقم:2856،(320/2)

3-الموافقات،الشاطبي،ضبط نصه وقدم له:أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان،دار ابن عفان،ط1،1997،السعودية،(289/2)

حقه أعظم الحقوق عليه ،وأن عبادته لا يجوز أن تكون إلا إليه وأن مسألته لا يجوز أن ترفع إلا إليه ،وأن العناية بحقوقه واجبة عليه،وأن كل ما أوجبه عليه فيه إحسان إليه وصلاح لنفسه.

وبمعرفة هذه الحقائق نتبيّن ضرورة زيف تلك المذاهب والفرق والنظريات التي خالفتها ،سواء في أصل الإنسان وخلقه كنظرية التطور لدارون أو الملحدين عموما .وبالإيمان بالقضاء و القدر وما يتفرع عنهما ندرك أخطاء المعتزلة والقدرية.

وبإدراكنا أن لا مجال في صنع الخالق الحكيم للصدفة أو العبث تتبيّن لنا ضرورة عبوديتنا الفطرية والقسرية لله سبحانه،ومسؤوليتنا العظيمة أمام اختصاصنا بالتكريم والهداية والإحسان المتوالي.

ولأن مسؤوليتنا هذه توجب علينا أداء حق العبودية لله،نجد الإلتزام بالتكليف الإلهي في أوامره ونواهيه هو سبيلنا الوحيد لنيل مرضاة ربنا مع اعتقادنا الجازم أننا عن إيفاء حق إحسانه عاجزون،فنحن عبيد فضله وإحسانه في الأولى ،راجين أن يتم الله علينا النعمة في الآخرة فيتغمدنا برحمة من عنده.

المبحث الثالث:تجليات الإحسان من خلال الأحكام في سورة النساء.

المطلب الأول:تجليات الإحسان في أحكام الأسرة من خلال السورة

المطلب الثاني:تجليات الإحسان من خلال أحكام المجتمع المسلم في السورة.

المبحث الثالث:تجليات الإحسان من خلال الأحكام في سورة النساء.

لما كان في التكليف مزيد إحسان من الله سبحاه للإنسان فقد كان لزاما على هذا الإنسان البحث عن حقيقة هذا التكليف وغاياته ،وأثره في صلاح الفرد والمجتمع .ومن السور التي كانت حافلة بالأحكام التي تبين للمكلفين مالهم وما عليهم "سورة النساء "فما أهم الأحكام في السورة؟ وكيف تجلّى الإحسان من خلالها؟

وعن أهم مقاصد السورة يقول أبو زهرة:"وسورة النساء هي سورة الإنسانية ،ففيها عين القرآن الكريم العلاقات الإنسانية التي تربط الناس بعضهم ببعض ،وما ينبغي أن تنهجه المجتمعات الفاضلة في جعل العلاقة الإنسانية الأصيلة تسير في مجراها الطبيعي الذي رسمه رب العالمين بمقتضى الفطرة . وفيها ما حده الله تعالى :لعلاج الانحراف الذي ينحرف به ذوو الأهواء ،من الآحاد والجماعات."[1]

المطلب الأول:تجليات الإحسان في أحكام الأسرة من خلال السورة.

نعود للحديث عن الجاهلية لنعرف حال الأسرة حتى تتجلى لنا النقلة التي قام بها الإسلام وسر الإحسان الذي أمد به الأسرة، والذي تنعم به اليوم.وإذ بنا نجد في سورة النساء بعض الإشارات التي تنبأ عن حال الأسرة في المجتمع الجاهلي في تعامله مع الحقوق خاصة وإخفاقه في حفظها لضعاف ذلك المجتمع، ثم نجد مباشرة تلك الأحكام التي جاء بها الإسلام ليصحح ويقوّم ويعطي كل ذي حق حقه.فكيف شرّع الإسلام لحفظ الحقوق في الأسرة والحفاظ على كيانها والعمل على بقائها قوية متماسكة؟

الفرع الأول:أوضاع الأسرة في الجاهلية:

افتتحت سورة النساء بالحث على تقوى الله سبحانه ،والتأكيد على حقوق الأرحام...فما المقصود بالأرحام ،وكيف كانت علاقة الأرحام في الجاهلية؟

الأرحام جمع رحم ،قال ابن فارس:"الراء والحاء والميم أصل واحد يدل على الرأفة ،والرحم علاقة القرابة"[2]. وقال الراغب:"الرحم :رحم المرأة ومنه استعير الرحم للقرابة لكونهم خارجين من

[1]-زهرة التفاسير،أبو زهرة ،دار الفكر العربي،(1567/3)

[2]-معجم مقاييس اللغة،(498/2)

رحم واحدة.والرحمة :رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم ،وقيل أن الرحمة من الله إنعام وإفضال ومن الآدميين رقة وتعطف."[1]

وقد كان العرب في الجاهلية يعظمون الرحم ويصلونها ويتساءلون بها ففي قوله تعالى: ﴿ وَاتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلأَرْحَامَۚ ﴿١﴾﴾ [سورة النساء آية 1] يقول ابن كثير:"قال إبراهيم ومجاهد والحسن :أي كما قال:أسألك بالله والرحم..وقرأ بعضهم [2] (والارحام)بالخفض ،على العطف على الضمير (به)أي:تساءلون بالله وبالارحام ،كما قال مجاهد وغيره."[3]

وفي قوله تعالى:(والارحام) قال ابن عاشور:"قرأه الجمهور بالنصب عطفا على اسم الله وقرأه حمزة بالجر عطفا عل الضمير المجرور فعلى قراءة الجمهور يكون الارحام مأمور بتقواها على المعنى المصدري أي اتقائها ،وهو على حذف مضاف أي اتقاء حقوقها .وعلى قراءة حمزة ،يكون تعظيما لشأن الأرحام التي يسأل بعضكم بعضا بها،وذلك قول العرب(ناشدتك الله والرحم)"[4]

ولكن الأسرة رغم ذلك لم تسلم من كثير من الآفات التي لحقتها بسبب الجاهلية خاصة هضم الحقوق وانتهاك الحرمات والأعراض ومن أهمها ما أشارت إليه الآية في قوله سبحانه: ﴿وَءَاتُواْ ٱلْيَتَـٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْۖ وَلاَ تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِۖ وَلاَ تَاكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوباً كَبِيراً ﴿٢﴾﴾ [سورة النساء آية 2]

قال الطبري:"قال بعضهم:كان أوصياء اليتامى يأخذون الجيد من مالهم والرفيع منه ،ويجعلون مكانه لليتيم الرديء والخسيس ،فذلك تبديلهم الذي نهاهم الله تعالى عنه."[5]

ومن ظلم اليتيمات خصوصا والنساء بالعموم أيضا ما أشارت إليه الآية اللاحقة في قوله سبحانه:﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِى ٱلْيَتَـٰمَىٰ فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ

---

[1]-المفردات في غريب القرآن،ص191

[2]-وهي قراءة حمزة والأعمش،تفسير القرآن العظيم،(333/3)

[3]-تفسير القرآن العظيم،(333/3-334)

[4]-التحرير والتنوير،(217/4)

[5]-جامع البيان،(352/6)

وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴿٣﴾ [سورة النساء آية 3]

فقد جاء في صحيح البخاري عن عروة بن الزبير أنه سأل عائشة رضي الله عنها عن هذه الآية فقالت:"يابن أختي، هذه اليتيمة تكون في حجر وليها تشركه في ماله ويعجبه مالها وجمالها ،فيريد وليها أن يتزوجها بغير أن يقسط في صداقها فيعطيها مثل ما يعطيها غيره، فنهوا عن أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا بهن ويبلغوا لهن أعلى سنتهن في الصداق."[1]

وفي الآية إشارة إلى التعدد في النساء، وعن ذلك يقول الشوكاني:"قال جماعة من السلف إن هذه الآية ناسخة لما كان في الجاهلية وفي أول الإسلام من أن الرجل يتزوج من الحرائر ما شاء ،فقصرهم بهذه الآية على أربع :فيكون وجه ارتباط الجزاء بالشرط أنهم إذا خافوا ألا يقسطوا في اليتامى فكذلك يخافون ألا يقسطوا في النساء لأنهم كانوا يتحرجون في اليتامى ولا يتحرجون في النساء."[2]

وعن هضم الحقوق في المجتمع الجاهلي يقول سيد قطب:"نجد مجتمعا تؤكل فيه حقوق الأيتام ،وبخاصة اليتيمات في جحور الأهل والأولياء والأوصياء ،ويستبدل الخبيث منها بالطيب ،ويعمل فيها بالإسراف والطمع خيفة أن يكبر اليتامى فيستردوها ،وتحبس فيه الصغيرات من ذوات المال ،ليتخذهن الأولياء زوجات ،طمعا في مالهن لا رغبة فيهن."[3]

أما الحقوق المالية للضعفاء في الأسرة كاليتامى والنساء فقد كانت معرضة في الغالب للنهب والتسلط من أصحاب القوة والسلطان في الأسرة.ففي الميراث مثلا لم يكن ينال النساء والصغار منه شيئا بل كان يذهب كله إلى الرجال.قال الطبري:"قال ابن زيد:كان النساء لا يورثن في الجاهلية من الآباء،وكان الكبير يرث ولا يرث الصغير وإن كان ذكرا فقال الله تبارك وتعالى:﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ

[1]-الجامع الصحيح ،البخاري،كتاب التفسير باب (وإن خفتم أن لا تقسطوا)،رقم:4573،(215/3)

[2]-فتح القدير،(677/1)

[3]-في ظلال القرآن، (557/1)

وَالاَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَّفْرُوضاً ﴿٧﴾ [سورة النساء آية 7]"[1]

وعن جور المجتمع الجاهلي في قسمة الميراث يضيف سيد قطب قائلا:"نجد المجتمع الجاهلي مجتمعا يجار فيه على الصغار والضعاف والنساء،فلا يسلم لهم بنصيبهم الحقيقي من الميراث ،إنما يستأثر فيه بمعظم التركة الرجال الأقوياء القادرون على حمل السلاح،ولا ينال الضعاف إلا الفتات وهذا الفتات الذي تناله اليتيمات الصغيرات والنسوة الكبيرات ،هو الذي يحتجزن من أجله ويحبسن على الأطفال من الذكور ،أو على الشيوخ من الأولياء كي لا يخرج المال بعيدا ولا يذهب في الغرباء."[2]

ومن نماذج اعتداء المجتمع الجاهلي على حقوق النساء كذلك ما أشار إليه قوله سبحانه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهاً وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلاَّ أَنْ يَّاتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ [سورة النساء آية 19].فعن ابن عباس أنه قال فيها:"كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته ،إن شاء بعضهم تزوجها ،وإن شاءوا زوجوها ،وإن شاءوا لم يزوجوها وهم أحق بها من أهلها فنزلت هذه الآية في ذالك."[3]

وفي السورة آيات أخر منها ما أشارت إلى هضم الحقوق المالية في المجتمع الجاهلي ومنها ما أشارت إلى الاعتداء على الأعراض وانتهاك الحرمات بتزوج المحرمات من النساء ومنها ما نبّهت إلى ما كان في ذلك المجتمع من فواحش وأنكحة فاسدة .

ونجد سيد قطب يبين جوانب أخرى من فوضى المجتمع الجاهلي فيقول:"نجد المجتمع الجاهلي يضع المرأة موضعا غير كريم ،ويعاملها بالعسف والجور في كل أدوار حياتها ،يحرمها الميراث أو يحبسها لما ينالها منه ،ويورثها للرجل كما يورث المتاع ،ويعضلها زوجها إذا طلقها فيدعها لا هي زوجة ولا هي مطلقة ،حتى تفتدي نفسها منه وتفك أسرها..كما نجده مجتمعا تضطرب قواعد الأسرة بسبب هبوط مركز المرأة فيه ،علاوة على اضطراب قواعد التبني والولاء واصطدامها مع قواعد القرابة والنسب ،فوق ما فيه من فوضى في العلاقات الجنسية والعائلية ،حيث تروج فيه

---

[1]-جامع البيان،(431/6)

[2]-في ظلال القرآن،ا (557/1)

[3]-الجامع الصحيح ،البخاري،باب(ولكم نصف ما ترك أزواجكم)،رقم:3579،(216/3)

اتصالات السفاح والمخادنة."[1]

الفرع الثاني:أحكام الأسرة في الإسلام من خلال السورة.

بالنظر إلى أحوال الأسرة في الجاهلية ندرك مدى حاجة الأسرة في تلك الظروف لنظام يجلّي الحقوق ويحفظ لكل ذي حق حقه،فكان الإسلام هو الدين الحق الذي قام بحفظ وتبيين الحقوق.فما هي أهم تلك الأحكام التي قدمها الإسلام لحفظ حقوق الضعاف وحمايتهم من تسلط غيرهم؟ثم كيف عمل على حفظ الأسرة من آفات الجاهلية؟

أهم ما ابتدأت به السورة هو بيان عظم حقوق الأرحام بينهم وأن الرحم والقرابة بينهم وجب أن تكون مانعة لهم من الظلم والإذاية إضافة إلى التذكير بالخالق الواحد الذي خلقهم من نفس واحدة . وأهم أمر أكد عليه سبحانه في افتتاحية السورة قوله:(اتقو ربكم) وقد تكرر في قوله سبحانه(واتقوا الله)وعن مناسبة الأمر بالتقوى في أول السورة يقول البقاعي:"لما اشتملت السورة على أنواع كثيرة من التكاليف منها التعطف على الضعاف بأمور كانوا قد مرنوا على خلافها ،فكانت في غاية المشقة على النفوس ،وأذن بشدة الاهتمام بها بافتتاح السورة واختتامها بالحث عليها .قال:(اتقوا ربكم)أي سيدكم ومولاكم المحسن إليكم بالتربية بعد الإيجاد،بإن تجعلوا بينكم وبين سخطه وقاية لئلا يعاقبكم بترك إحسانه إليكم فيترل بكم كل بؤس"[2]

ثم أمر سبحانه بوجوب تقوى الأرحام وهو على قراءة الجمهور (بالنصب) للعطف،وعلى قراءة حمزة(بالخفض) للقسم."والقراءتان مؤذنتان بأن صلة الأرحام من الله بمكان عظيم،حيث قرنها باسمه سواء كان عطفا أو كان قسما ،وقد اتفق المسلمون على أن صلة الرحم واجبة.."[3]

ثم قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ مذكر عباده سبحانه بأنه عليم بجميع أفعالهم.قال الألوسي:"أي أنه مشرف على أعمالكم ومناشئها من نفوسكم وتأثيرها في أحوالكم لا يخفى عليه شيء من ذلك،فلا يشرع لكم من الأحكام إلا ما فيه صلاحكم وسعادتكم في الدنيا والآخرة ،وفي ذلك تنبيه لنا على الإخلاص في أعمالنا ،إذ من كان متذكرا أن الله مراقب لأعماله

---

[1]-في ظلال القرآن،(558/1)

[2]-نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي ،دار الكتاب الإسلامي ،د ط،د س،(172/5)

[3]-المصدر نفسه،(176/5)

كان جدير أن يتقيه ويلتزم حدوده."[1]

ووجه الإحسان في هذه الافتتاحية تأكيده سبحانه على أهمية الأحكام التي ستعرض في السورة ووجوب الالتزام بها اتقاء لسخط الله الذي أمر بها واتقاء لقطيعة الرحم التي جاءت معظم هذه الأحكام لوصلها وتحذير ووعيد من قطيعتها أو إهمالها.وهذا أدعى إلى الالتزام والامتثال.

ثم توالت في السورة الأحكام التي تقوّم الوضع الجاهلي وترتقي بالمجتمع الإسلامي. وأول ما ابتدأ به قوله سبحانه: ﴿وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِۖ وَلَا تَاْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ۝٢﴾ [سورة النساء آية 2]

وفي مناسبة الابتداء بأحكام اليتامى يقول البقاعي:"ولما كان اليتامى أولى من يتقى الله فيه بعد الأرحام ويخشى مراقبته بسببه،دعا سبحانه إلى العفة والعدل فيهم."[2]

وفي معنى الآية يقول الطبري:"يعني بذالك تعالى ذكره أوصياء اليتامى ،يقول لهم:أعطوا يا معشر أوصياء اليتامى اليتامى أموالهم إذا هم بلغوا الحلم، وأونس منهم الرشد (ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب)يقول:ولا تستبدلوا الحرام عليكم من أموالهم بأموالكم الحلال لكم."[3]

ثم بيّن سبحانه بعض أحكام النساء وحقوقهن لأن الناس في الجاهلية كانوا يتحرجون في اليتامى ولا يتحرجون في النساء فقال سبحانه: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِي ٱلْيَتَٰمَىٰ فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ۝٣﴾ [سورة النساء آية 3]

فشرع الله سبحانه تعدد النساء لمعالجة ما كان يقع في الجاهلية من حبس اليتيمات لمالهن وعدم إيتائهن حقوقهن.وعن تشريع التعدد يقول ابن عاشور:"وقد شرع الله تعدد النساء للقادر العادل لمصالح جمة منها أن في ذالك وسيلة لتكثير عدد الأمة..ومنها أن الشريعة قد حرمت الزنا وضيّقت في تحريمه لما يجرّ إليه من الفساد في الأخلاق والأنساب ونظم العائلات،فناسب أن توسع على

---

[1]-روح المعاني،(178/4)

[2]-نظم الدرر،(177/5)

[3]-جامع البيان،(351/6)

الناس في تعدد النساء لمن كان من الرجال مجبولا عليه،ومنها قصد الابتعاد عن الطلاق إلا لضرورة."[1]

وبعد بيان جواز تعدد النساء بشرط العدل ،بيّن سبحانه حق النساء في الصداق فقال سبحانه: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ [سورة النساء آية 4] وفي الآية أمر بإعطاء المهور للنساء "وقيل الخطاب للأزواج ،وقيل للأولياء.ومعنى الآية على كون الخطاب للأزواج :أعطوا النساء اللاتي نكحتموهن مهورهن التي لهن عليكم عطية أو ديانة منكم ،أو فريضة عليكم،أو طيبة من أنفسكم.ومعناها على كون الخطاب للأولياء:أعطوا النساء من قراباتكم التي قبضتم مهورهن من أزواجهن تلك المهور ،وقد كان الولي يأخذ مهر قريبته في الجاهلية ولا يعطيها شيئا."[2]

ثم توالت الآيات بعد ذلك في بيان باقي حقوق اليتامى والنساء، لتفصل على إثر ذلك وصية الله سبحانه في قسمة الميراث،وذلك علاجا لما كان يقع في الجاهلية من حرمان النساء والصغار من الميراث .ويتجلى ذلك في قوله سبحانه: ﴿۞ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾﴾ [سورة النساء آية 11]

فعن ابن عباس رضي الله عنه قال:"كان المال للولد،وكانت الوصية للوالدين،فنسخ الله من ذلك ما أحب:فجعل للذكر مثل حظ الانثيين ،وجعل للأبوين لكل واحد منهما السدس والثلث،وجعل للمرأة الثمن والربع ،وللزوج الشطر والربع"[3]

ففي الآية وما بعدها بيان تقسيم الميراث بإعطاء كل ذي حق حقه بما يقتضيه العدل وتقتضيه

---

[1]-التحرير والتنوير،(226/4)

[2]-فتح القدير،(680/1)

[3]-الجامع الصحيح،البخاري،كتاب التفسير،باب(ولكم نصف ما ترك أزواجكم)،رقم:4578،(215/3)

المصلحة الخاصة لجميع الأفراد ،والمصلحة العامة للأسرة والمجتمع عموما مع الحفاظ على العلاقات والصلات دون تقطيعها بسبب التخاصم على الميراث، وفي ذالك غاية الإحسان .

ثم توالت الآيات بعدها حاملة جملة من الحلول لما كانت تعانيه الأسرة في الجاهلية من الانحلال والفساد،فجاءت آية الحدود لعلاج تفشي الفاحشة ،وجاءت آيات التوبة لتذكير المنحرفين بالعودة إليه سبحانه،وجاءت آية النهي عن العضل وبيان فساده،وجاءت آيات المحرمات من النساء لحماية المجتمع من الفوضى الأخلاقية والحفاظ على الأنساب من الاختلاط ،ثم جاءت بعد ذلك آيات المحصنات وبيان جملة من أحكامهن وأحكام النكاح.لتنتهي أحكام الأسرة في هذا الجزأ ببيان أحكام النشوز والإصلاح بين الزوجين في حال الخلاف..وفي جميع هذه الأحكام بيان لقيمة الأسرة في الإسلام وحرصه على حسن ابتدائها والعمل على استمرارها ثم بيان أثر الإحسان في الحفاظ على العلاقات حتى بوجود الخلاف بين أطرافها.

الفرع الثالث:مراتب الإحسان والمستحقون له.

ولأن حفظ الحقوق وأدائها لأصحابها بالوجه المشروع إحسان من جهة كونه يدخل ضمن عبادة الله سبحانه والتي هي أوكد الحقوق لأنها حق لله سبحانه ،كما أن حفظ الحقوق يدخل من جهة أخرى ضمن الاعتراف بالجميل والوفاء به وهو مما تدعو إليه الفطر السليمة.فمن هم أولى الناس بالإحسان وحفظ الحقوق ؟

بعد أن بيّن الله سبحانه في الآية الأولى من سورة النساء حق الله سبحانه بالتعظيم والتقوى أتبعه ببيان حقوق الأرحام والأيتام والنساء،وبعد تفصيلات كثيرة للحقوق ،جاء تعقيب بآية جامعة تبين المستحقين للإحسان فقال سبحانه: ﴿۞ وَاعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـٔاً وَبِالْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰناً وَبِذِى ٱلْقُرْبىٰ وَالْيَتَٰمىٰ وَالْمَسَٰكِينِ وَالْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبىٰ وَالْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَالصَّٰحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً ﴿٣٦﴾﴾ [سورة النساء آية 36]

ابتدأت الآية ببيان حق الله على عباده والمتمثل بالعبادة ،وترك الشرك به سبحانه:وفي هذا يقول ابن كثير:"يأمر تبارك وتعالى بعبادته ،فإنه هو الخالق الرازق المنعم المتفضل على خلقه في جميع الآنات

والحالات ،فهو المستحق منهم أن يوحدوه ولا يشركوا به شيئا من مخلوقاته."[1]ثم بيّنت الآية حقوق العباد في الإحسان على الترتيب التالي:

الإحسان إلى الوالدين:بعد بيان حقوق الله سبحانه شرعت الآية في بيان الأصناف الذين يجب لها الإحسان، وأول من دعا إلى الإحسان إليهم الوالدين ،وذلك لما قدماه للولد من تربية ورعاية، "والإحسان المأمور به أن يقوم بخدمتهما ولا يرفع صوته عليهما ،ولا يخشن في الكلام معهما ،ويسعى في تحصيل مطالبهما والإنفاق عليهما بقدر القدرة."[2]وقيل:"هو كل إحسان قولي أو فعلي أو بدني ،بحسب أحوال الوالدين والأولاد والوقت والمكان ..ويدخل فيه كل ما أرضى الوالدين من جميع أنواع المعاملات العرفية،أو سلوك طريق ووسيلة ترضيهما."[3]

الإحسان إلى ذي القربى:ثم ثنّى سبحانه بالأمر بالإحسان إلى ذي القربى وهم الأرحام الذين أكد على حقهم في الآية الأولى من السورة ،وعن سبب هذا الأمر يقول ابن عاشور:"أمر بالإحسان إليهم استبقاء لأواصر الودّ بين الأقارب ،إذ كان العرب في الجاهلية قد حرّفوا حقوق القرابة فجعلوها سبب تنافس وتحاسد وتقاتل ..وفي الأمر بالإحسان إلى الأقارب تنبيه على أن من سفالة الأخلاق أن يستخف أحد بالقريب لأنه قريبه، وآمن من غوائله، ويصرف برّه وودّه إلى الأباعد ليستكفي شرّهم ،أو ليذكر في القبائل بالذكر الحسن."[4]

الإحسان إلى اليتامى والمساكين: قال ابن عاشور:" هذان صنفان ضعيفان عديما النصير ،فلذلك أوصى بهما"[5]

الإحسان إلى الجار ذي القربى والجار الجنب: وأمر بالإحسان إلى الجار ذي القربى لأن له حقين،حق القرابة وحق المجاورة،أما الجار الجنب فهو الذي لا قرابة له،وذالك للبلوى بعشرته خوفا

---

[1]-تفسير القرآن العظيم،(32/4)

[2]-روح المعاني،(47/5)

[3]-بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار ،عبد الرحمان السعدي،طبع وزارة الأوقاف،ط1423،4،السعودية،ص197.

[4]-التحرير والتنوير،(50/5)

[5]-المصدر نفسه،(50/5)

من بالغ مضرته.[1]

"والوصاية بالجار مأمور بها ،مندوب إليها ،مسلما كان الجار أو كافر، رحما كان أو من غير الأرحام، بعيدا في المسكن أو قريبا، لأن الكل داخل في المجاورة.والإحسان إليه يكون بمعنى المواساة ،وقد يكون بمعنى حسن العشرة وكف الأذى،والمحاماة دونه." [2]و قد يحار المرأ عن أولى الجيران بالإحسان،وهو ما سألت عنه عائشة ،فعنها رضي الله عنها:"قلت يارسول الله إن لي جارين فإلى أيهما أهدي؟قال:"إلى أقربهما منك بابا"[3]

الإحسان إلى الصاحب بالجنب:

الصاحب بالجنب أي:" الملاصق المخالط في أمر من الأمور الموجبة لامتداد العشرة."[4]

الإحسان إلى ابن السبيل:وهو المسافر وأمر بالإحسان إليه لغربته وقلة ناصره ووحشته.[5]

الإحسان إلى ملك اليمين:وهم الإماء والعبيد ،وهي وصية بالأرقاء لأن الرقيق ضعيف الجنبة ،أسير في أيدي الناس "[6]

ثم نهى سبحانه في آخر الآية عن الإختيال فقال﴿إِن ٱللَّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُوراً﴾

وفي تفسيرها يقول البقاعي:"وفي الآية ترهيب من الخلق المانع من الإحسان وهو الإختيال على عباد الله والافتخار عليهم ازدراء بهم ،فإنه لا مقتضى لذالك لأن الكل من نفس واحدة،والفضل نعمة منه-سبحانه وتعالى- يجب شكرها بالتواضع لتدوم ويحذّر كفرها بالفخار فتزول."[7]

ثم جاء بعد هذه الآية تحذير من البخل والرياء لكونهما أيضا مانعان من الإحسان الذي دعى الله إليه وحبب فيه وبيان لآثارهما الوخيمة .

---

[1]-ينظر:نظم الدرر،(275/5)

[2]-التفسير الموضوعي لسور القرآن،(111/2)

[3]-الجامع الصحيح،البخاري،(129/2)

[4]-نظم الدرر،(277/5)

[5]-ينظر:المصدر نفسه،(277/5)

[6]-تفسير القرآن العظيم،(42/4)

[7]-نظم الدرر،(278/5)

المطلب الثاني:تجليات الإحسان من خلال أحكام المجتمع المسلم في السورة.

بعد بيان أحكام الأسرة وكيف أنقذها الإسلام من أعراف الجاهلية الفاسدة ونورها بنور الإسلام،كان من المناسب أن ينتقل إلى بيان علاقة المؤمنين فيما بينهم ،وبيان تميّز علاقتهم واختلافها عن غيرهم من الأمم التي عاصرتهم وبالأخص أمة اليهود التي جاورتهم في المدينة ،فما موقف جماعة اليهود من بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ثم كيف تميزت علاقة المسلمين عنهم؟

عن أهم تلك الأحكام والتوجيهات للمجتمع المسلم يقول ابن عاشور:"تبين السورة أحكام المعاملات بين جماعة المسلمين في الأموال والدماء وأحكام القتل عمدا وخطأ،وتأصيل الحكم الشرعي بين المسلمين في الحقوق والدفاع عن المعتدي عليه ،والأمر بإقامة العدل بدون مصانعة ،والتحذير من اتباع الهوى والأمر بالبر ،والمواساة ،وأداء الأمانات.."[1]

ومن أهم الأحكام في السورة بيان علاقة المسلمين بالمخالفين لهم، وكيف عليهم معاملتهم في حالتي السلم والحرب،فكيف كانت علاقة المسلمين بغيرهم من اليهود ،وضعاف النفوس من المنافقين؟ وما أثر أحكام الإسلام في ضبط العلاقة وتحقيق الأمن والعدل للمسلمين وغيرهم؟

الفرع الأول:بيان موقف اليهود من الإسلام.

اليهود كما هو معلوم أهل كتاب ،ولذلك كان المتبادر أن فهمهم وتقبلهم للإسلام يكون ميسورا، إلا أن الواقع أنهم كانوا أشد عداوة للمسلمين من غيرهم ،فقد ورد في السورة بيان لموقفهم المعادي للإسلام ،وتعجب واستنكار وتوبيخ لهم على هذا الموقف الذي لا مبرر له.وفي هذا يقول سبحانه:﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلذِينَ أُوتُواْ نَصِيباً مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ۝٤٤ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيّاً وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيراً ۝٤٥﴾ [سورة النساء آية 44]

"في الآية يخبر تعالى عن اليهود.. أنهم يشترون اسلضلالة بالهدى ويعرضون عما أنزل الله على رسوله ،ويتركون ما بأيديهم من العلم عن الأنبياء الأولين في صفة محمد صلى الله عليه وسلم

[1]-التحرير والتنوير،(213/4)

،ليشتروا به ثمنا قليلا من حطام الدنيا. ." [1](ويريدون أن تضلوا السبيل)أي:"يريدون للمؤمنين الضلالة لئلا يفضلوهم بالاهتداء ..أي : يسعون لأن تضلوا وذالك بإلقاء الشبه والسعي في صرف المسلمين عن الإيمان.(والله أعلم بأعدائكم):لأن إرادتهم الضلالة للمؤمنين عن عداوة وحسد.(وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا) تذييل لتطمئن نفوس المؤمنين بنصر الله..لأن اليهود المجاورون للمسلمين ذوي عَدد وعُدد،وبيدهم الأموال ،وهم مبثوثون في المدينة وما حولها."[2]

وقال الطبري:"(أن تضلوا السبيل)أي:أن تزولوا عن قصد الطريق ومحجّة الحقّ،فتكذبوا بمحمد وتكونوا ضلّالا مثلهم.وهذا من الله جل ثنائه تحذير منه عباده المؤمنين أن يستنصحوا أحدا من أعداء الإسلام في شيء من أمر دينهم ،أو أن يسمعوا شيئا من طعنهم في الحق."[3]

ثم شرع سبحانه في بيان بعض أعمالهم القبيحة الفاضحة لهم والمبينة شدة عداوتهم للمؤمنين .

فقال سبحانه:﴿مِّنَ ٱلذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْناً فِي ٱلدِّينِ وَلَوَ اَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُومِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴿٤٦﴾﴾ [سورة النساء آية 45]

أي:" يتأولون الكلام على غير تأويله ويفسرونه بغير مراد الله عز وجل ،قصدا منهم وافتراءا.(ويقولون سمعنا وعصينا)أي يقولون سمعنا ما قلته يامحمد ولا نطيعك فيه،هكذا فسره مجاهد وابن زيد .. وهذا أبلغ في كفرهم وعنادهم،وأنهم يتولون عن كتاب الله بعد ما عقلوه،وهم يعلمون ما عليهم في ذلك من الإثم والعقوبة." [4](واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا في الدين) :قال الطبري:وهذا خبر من الله عز وجل عن اليهود الذين كانوا حوالي مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم في عصره أنهم كانوا يسبون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويؤذونه بالقبيح

[1]-تفسير القرآن العظيم،(4/94-95)

[2]-التحرير والتنوير،(5/72)

[3]-تفسير الطبري،(7/100)

[4]-تفسير القرآن العظيم،(4/94-95)

من القول."[1]

ثم تلى ذلك موعظة لهم ،وتحذير لهم من كفرهم وشركهم ،وبيان لعاقبة الشرك الوخيمة ،ثم عادت الآيات للتعجب والاستنكار من شنيع أفعالهم ،فقال سبحانه:﴿اَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّے مَنْ يَّشَآءُ وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾﴾ [سورة النساء آية 48]

قال الطبري:يعني بذلك تعالى ذكره:ألم تر الذين يزكون أنفسهم من اليهود فيبرئونها من الذنوب ويطهرونها ،وقيل أن تزكيتهم أنفسهم قولهم: ﴿ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [سورة المائدة آية 20] أما قوله سبحانه:(ولا يظلمون فتيلا)أي أنه سبحانه يزكّي من يشاء من خلقه فيوفقه،ويخذل من يشاء من أهل معاصيه كل ذلك إليه وبيده ،وهو في كل ذلك غير ظالم أحدا ،ممن زكاه أو لم يزكه فتيلا."[2]

وقال سبحانه في تعجب آخر من حالهم واستنكار عليهم: ﴿اَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلذِينَ اُوتُواْ نَصِيباً مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُومِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾ [سورة النساء آية 50]

يقول ابن عاشور في تفسيره لهذه الآية:"أعيد التعجب من اليهود ،الذين أوتوا نصيبا من الكتاب بما هو أعجب من حالهم التي مر ذكرها فإن إيمانهم بالجبت والطاغوت وتصويبهم للمشركين تباعد منهم عن أصول شرعهم بمراحل شاسعة..والجبت:كلمة معربة من الحبشة،وتعني:الشيطان والسحر. والطاغوت:لأصنام ،كذا فسره الجمهور ونقل عن مالك بن أنس."[3]

وفي السورة آيات أخر تحمل إشارات إلى ضلالهم وكفرهم وشدة عداوتهم للمسلمين.وفي التأكيد على عداوة اليهود للمسلمين توجيه للمسلمين وإحسان لهم ببيان أعدائهم المبغضين لهم حتى لا ينخدعوا ويتبعوهم.

---

[1]-تفسير الطبري،(104/7)

[2]-تفسير الطبري،(129/7)

[3]-التحرير والتنوير،(85/5)

الفرع الثاني:بيان جملة من أحكام المسلمين.

لما نبّه سبحانه في بداية السورة إلى حقوق الأرحام على بعضهم انتقل في هذا الجزء إلى بيان أحكام الجماعة المسلمة وحقوق المسلمين على بعضهم.فما هي أهم التوجيهات والأحكام الأخلاقية للمسلمين؟

ابتدأت هذه التوجيهات بقوله جل ذكره:﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَامُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨﴾ [سورة النساء آية 57]

مناسبة الآية لما قبلها أن كل أفعال اليهود هي خيانة أمانة الدين والعلم ،والحق ،والنعمة وهي أمانات معنوية ،فناسب أن يعقب ذلك بالأمر بأداء الأمانة الحسية إلى أهلها ويتخلص إلى هذا التشريع .كما أمر بالعدل وهو ضد الجور ،وهو مساواة بين أفراد الأمة ،في تعيين الأشياء وفي وسائل تمكينها بأيدي أربابها ."[1]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ [سورة النساء آية 58]

وفي الآية أمر للمؤمنين بطاعة الله والرسول وأولياء أمورهم،وعن مناسبتها لما قبلها يقول ابن عاشور:"لما أمر الله الأمة بالعدل عقّب ذلك بخطابهم بالأمر بطاعة الحكام وولاة أمورهم ،لأن الطاعة لهم هي مظهر نفوذ العدل الذي يحكم به حكامهم ،فطاعة الرسول تشتمل على احترام العدل المشرع لهم وعلى تنفيذه ،وطاعة ولاة الأمور تنفيذ العدل .وقد أمر سبحانه بطاعة الله ورسوله ،وذلك بمعنى طاعة الشريعة ،فإن الله هو منزل الشريعة ،ورسوله مبلغها والحاكم بها في حضرته."[2]

---

[1]-التحرير والتنوير،(5/91-94)

[2]-التحرير والتنوير،(5/96)

ثم عقب سبحانه بذكر حال المنافقين الذين لم يرضوا بطاعة الله وحكمه وذهبوا يطلبون حكم الطاغوت ،ثم رد عليهم بعد ذكر ضلالهم بالترغيب بطاعة الله ورسوله بذكر ثواب المطيعين.فقال سبحانه:﴿وَمَنْ يُّطِعِ ٱللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَآءِ وَالصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقاً ﴿٦٩﴾﴾ [سورة النساء آية 68]

ثم شرعت السورة في بيان أحكام الجهاد وأول تلك الآيات قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَانفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُواْ جَمِيعاً ﴿٧٠﴾ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيداً ﴿٧١﴾﴾ [سورة النساء آية 71-70]

"وابتدأ الأمر في الآية بأخذ الحذر من العدو،وهذا يستلزم التأهب لهم بإعداد الأسلحة والعدد..ثم بين سبحانه أن ممن يخالطون المؤمنين ويتظاهرون بالإيمان أناسا يتخلفون عن القتال في سبيل الله فيتبطئون عنه ..ثم يمضي السياق يحاول أن يرفع ويطلق هؤلاء المبطئين ويوقظ في حسهم التطلع للآخرة."[1]

ثم توالت عدة آيات تأمر بالقتال وتحث عليه .ثم بينت الآيات حال المنافقين المخزية أثناء قتال المسلمين ،ثم نبه سبحانه إلى مكائد المنافقين فقال سبحانه: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَنْ يُّضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلاً ﴿٨٨﴾﴾ [سورة النساء آية 87] "وفي هذه الآية تفريع عن أخبار المنافقين لأن ما وصف من حالهم لا يترك شكا عند المؤمنين في خبث طويتهم وكفرهم."[2]

ثم أتبع ذلك ببيان حكم القتل فقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُومِنٍ أَنْ يَّقْتُلَ مُومِناً إِلاَّ خَطَـٔاً﴾ [سورة النساء آية 91] ﴿وَمَنْ يَّقْتُلْ مُومِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِداً فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَاباً عَظِيماً ﴿٩٣﴾﴾ [سورة النساء آية 92]

[1]-التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم،(2/176-158)

[2]-التحرير والتنوير،(5/148)

قال ابن عاشور:"المناسبة أن الكلام كان في قتال المتظاهرين بالإسلام الذين ظهر نفاقهم ،فلا جرم أن تتشوف النفس إلى حكم قتل المؤمنين الخلص ،فبين حكم القتل العمد والخطأ."[1]

ثم توالت الأحكام والتوجيهات للمسلمين من بيان فضل المجاهدين والحث على طاعة الله ورسوله وطاعة أولي الأمر،والتنبيه على وجوب العدل في الحكم،ثم بيان بعض من أحكام معاملة أهل الكتاب .وقد تخلل ذلك بعض المواعظ ،وبقية من أحكام الأسرة.

ومن خلال كل الأحكام في السورة يظهر أنها حملت مواعظ كثيرة للمجتمع المسلم الحديث النشأة في المدينة حتى يعلم حقوق أهله فيما بينهم والتي قد تقتضي في أحيان كثيرة وجوب قتال المشركين من أجل حفظ حقوق المستضعفين....ثم بينت كيفية معاملتهم لأعدائهم في الداخل والخارج.ومنه يتجلى أن كل هذه الأحكام قد شرعت لفوائد جمة ،ولحفظ مصالح المسلمين وفي ذلك إحسان يجعل الممتثل يضمن خيري الدنيا والآخرة.

[1]-التحرير والتنوير،(156/5)

ونخلص من خلال هذا المبحث إلى مايلي:

ابتدأت السورة بتنبيه الناس إلى أن خالقهم واحد ،وأن أصلهم واحد،وبينت أن أصله تفرع إلى زوجين ثم كان تكاثر الإنسان منهما ،ثم شرعت السورة في بيان أن هذه المقدمة المذكورة في أول السورة تتفرع عنها أحكام وحقوق من أهمها:

-حق الخالق سبحانه: فبينت آيات عدة في السورة أن العبادة حق له سبحانه،وأنها تقتضي من الإنسان الالتزام بأمره وطاعته ،وطاعة رسوله المبلغ عنه،وأن الشرك ظلم في حقه سبحانه وأكدت آيتين في السورة أنه سبحانه لا يغفره،إذ كيف يشرك به وهو الخالق والمحسن .

-حق الخلق على بعضهم: فبعد أن بين الله - ﷻ-أن الناس كلهم من أصل واحد،شرع في بيان حقوق اشتراكهم في الأصل وتتفرع عنه حقوق كثيرة منها:

1-**حقوق الأرحام** : وقد ابتدأ بها سبحانه،لأن الأرحام يجمعهم الاشتراك في الرحم والقرابة الموجبة للرحمة،إضافة إلى ما يجمع الناس جميعا من الاشتراك في الأصل الواحد،وفي حقوق الأرحام ترتيب فبعضهم أولى من بعض في الإحسان.فالوالدين هم أولى الأقربين بالإحسان ثم الأقرب فالأقرب.

2-**حقوق الضعاف والمستضعفين:** وهم اليتامى والنساء والمساكين وابن السبيل،وأمر سبحانه بالإحسان لليتامى لضعفهم وغياب نصيرهم،والنساء لما كان في الجاهلية من هضم حقوقهم وإهانتهم، والمساكين لحاجتهم ،وابن السبيل لغربتهم.ثم أمر سبحانه في إطار حديثه عن الجهاد بوجوب الدفاع عن حقوق المستضعفين بمكة لما كان من هضم حقوقهم.

3-**حقوق أولياء الأمر:** ونجد في السورة تنبيه على حق أولي الأمر في الطاعة ،بعد طاعة الله ورسوله،كما أعقب ذالك بتوبيخ المنافقين الذين أبوا أن يطيعوا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم وهو ولي أمرهم.

4-**حقوق المسلمين:** كما بينت السورة حقوق المسلمين في نصرة بعضهم بعضا ،في مواجهة أعدائهم وقد ذكرت السورة صفات أعدائهم المتربصين لهم من اليهود والمنافقين وبيّنت شدة بغضهم وحسدهم للمسلمين.

5-**حقوق غير المسلمين:** بيّنت السورة حقوق غير المسلمين في العدل في الحكم بينهم ، وأن عداوتهم غير مبررة لابتداء ظلمهم بعدم العدل.

المبحث الرابع:الآثار النفسية للإحسان في القرآن الكريم.

المطلب الأول:أهمية الطمأنينة النفسية في القرآن.

المطلب الثاني:أثر معرفة إحسان الله عز وجل في تحقيق الطمأنينة.

المطلب الثالث:الآثار النفسية لتطبيق المنهج الرباني في الأحكام.

المبحث الرابع:الآثار النفسية للإحسان في القرآن.

إذا كان الإحسان شاملا لحياة الإنسان والأدلة عليه منثورة في إبداعه سبحانه لخلقه ،وفي تشريعه المحكم لعباده،أفلا يحق لنا أن نتساءل:عن الأثر النفسي للإحسان سواء في كونه فضل من الله على عباده،أو في كونه تشريع لهم عليهم التزامه؟

المطلب الأول:أهمية الطمأنينة النفسية في القرآن.

اهتم القرآن بإرشاد الإنسان إلى ما فيه خيره وصلاحه في العاجل والآجل ،فكان من أهم ما نبّه عليه تزكية النفوس وإصلاحها لما في ذلك من الأثر البالغ على استقامة الفرد وطمأنينته.

"فإصلاح الباطن أساس لكل إصلاح ظاهري ولا بقاء لإصلاح خارجي إلا إذا ارتكز وكان نتيجة وأثر للإصلاح الباطني ،وشعبة الأخلاق هي الكفيلة بالإصلاح الباطني ..ولعل قوله صلى الله عليه وسلم:"..ألا وإنّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ،وإذا فسدت فسد الجسد كله،ألا وهي القلب" [1] من أقوى العبارات المأثورة في تقرير أن صلاح الظاهر نتيجة لصلاح الباطن."[2]

فالقلب هو سيد الأعضاء وقائدها وبصلاحه واطمئنانه،يحقق للإنسان التوازن والرضا والثبات،وهنا نتساءل :ما منهج القرآن في تحقيق طمأنينة القلب؟

وبالبحث عن سر تقلبات القلوب بين الهدى المورث للطمأنينة وبين الضلال المورث للشقاء،نجد القرآن يقرر أن الله –سبحانه وتعالى- هو وحده المتصرف في قلوب عباده فهو يملكها إن شاء هداها إلى الإيمان وإن شاء هداها إلى الضلال.

ودليل ذلك قوله سبحانه: ﴿وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة الأنفال آية 24]

وقوله ﷻ:﴿هُوَ ٱلذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُومِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ

---

[1]-الجامع الصحيح،البخاري،كتاب:الإيمان،باب:فضل من استبرأ لدينه،رقم:52،(34/1)

[2]-منهج القرآن في تربية المجتمع،،عبد الفتاح عاشور،مكتبة الخانجي،ط1، 1979،ص164.

إِيمَـٰنِهِمْ﴾ [سورة الفتح آية 4]

" فإذا علم الإنسان أن الله هو المتصرف في القلوب فجدير به ولزاما عليه أن يسأل ربه صلاح قلبه وهدايته وثباته على الإيمان ،ويتعوذ بالله من قلب لا يخشع وقلب لا يلين ولا يخضع لله رب العالمين.وهكذا كان أهل الإيمان والراسخون في العلم يفعلون."[1]

قال سبحانه:﴿ وَالرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [سورة آل عمران آية 8]

وأثر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:"ما من قلب إلا بين أصبعين من أصابع الرحمان إن شاء أقامه وإن شاء أزاغه"وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:"اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك"[2]

إضافة إلى الدعاء وجب على العبد أن يسعى إلى سلامة قلبه وطمأنينته بالتزام تلك الأعمال التي ظهر أنها معينة على سلامة القلوب كالذكر والشكر وأفعال الخير.

ولأن الإنسان ضعيف في نفسه ،فقد تتسلط عليه الشكوك والظنون والوساوس ،وهو مطالب والحالة هذه أن يبحث في الشرع عن الأدلة والبراهين التي تطرد الشكوك والوساوس."لأن القلب يزداد طمأنينة إذا تواردت عليه الأدلة وتواترت ،ومن ذلك قول الخليل إبراهيم: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾ [سورة البقرة آية 259]

وقال صلى الله عليه وسلم :"نحن أحق بالشك من إبراهيم.إذ قال :(رب أرني كيف تحيي

---

[1]–شفاء القلوب،مصطفى عدوي،دار ماجد عسيري للنشر،ط1997،1،جدة،ص26.

[2]–سنن ابن ماجه،الحافظ أبو عبد الله محمد ابن يزيد القزويني،تحقيق:محمد فؤاد عبد الباقي،دار إحياء الكتب العربيةباب:فيما أنكرت الجهمية،رقم:199،(72/1)

الموتى)"[1]

ولذالك نجد في القرآن أدلة كثيرة على وجوب توحيده وعبادته وعدم الإشراك به استدلالا بعظيم خلقه وجزيل عطائه وعظم إحسانه.[2]

كما نجد أن الشارع سبحانه قرر وجوب البحث عن البيّنة والدليل إذا لم يقوى الشخص على الظن الحسن ،وغلبت عليه الأقاويل.و قرر أن على الأدلة وحدها يبنى الحكم.ونهى-سبحانه وتعالى- بالمقابل على الوقوع في الشبهات لما في ذلك من الريبة،والإخلال بطمأنينة قلوب الناس .

المطلب الثاني:أثر معرفة إحسان الله سبحانه في تحقيق الطمأنينة النفسية.

ولأن الطمأنينة النفسية مما يسعى الإنسان لتحقيقه ،وقد هدى إليها الإسلام وبين أهميتها لدخول الدين وللاستقامة والثبات عليه،فما أثر معرفة الإنسان لإحسان ربه عليه في سلامة قلبه وطمأنينته؟

قال ابن تيمية:"القلوب مجبولة على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها ،والله سبحانه هو المحسن على عبده بالحقيقة ،فإنه المتفضل بجميع النعم ،وإن جرّه بواسطة ،إذ هو ميسر الوسائط ومسبب الأسباب،ولكن هذه المحبة في الحقيقة إذا لم تجذب القلب إلى محبة الله نفسه،فما أحب في الحقيقة إلا نفسه ،وكذالك كل من أحب شيئا لأجل إحسانه إليه فما أحب في الحقيقة إلا نفسه،وهذا ليس بمذموم بل محمود ."[3]

فمعرفة الإنسان لإحسان ربه يجعله يحس بقيمة استخلافه في أرض الله ،وتحقيق وجوده باعتباره أرفع مخلوق كرّمه ربه، وأعلى قدره وأسجد له ملائكته، وسخر له الكائنات في الأرض والسماء، والبحار والأنهار..ومعرفته لقيمة النعمة يكون داعيا له إلى معرفة المنعم والمتفضل بها والقيام بحق العبودية له دون غيره، والقيام بحق النعمة بحفظها والشكر عليها.[4]

وفي القرآن أدلة كثيرة على أن إحسانه سبحانه موجب لتوحيده وعبادته.ومثال ذلك قول ابن القيم:"أن من المعلوم تصريح العقول أن من يخلق أكمل ممن لا يخلق ،كما قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ

---

[1]-الجامع الصحيح،البخاري،كتاب التفسير،باب:(وإذ قال إبراهيم ربي أرني كيف تحيي الموتى)،رقم:4537،(204/3)

[2]-ينظر:شفاء القلوب،ص163.

[3]-أعمال القلوب،ابن تيمية،ص87

[4]-ينظر:منهج القرآن في تربية المجتمع،ص167.

يَّخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلاَ تَذَّكَّرُونَ ﴿١٧﴾ [سورة النحل آية 17] ،وهذا استفهام إنكار يتضمن الإنكار على من سوى بين الأمرين بعلم أن أحدهما أكمل من الآخر قطعا ولا ريب ..ولما كان هذا مستقر في فطر بني آدم جعله الله تعالى من آلة توحيده وحججه على خلقه."[1]

"ومنهج الإسلام هو منهج الحياة بلا ريب، وقد أنزل إلى الإنسان من ربه ليعتمد هذا الإنسان الطريقة العقلية أساسا للتفكير لأن القرآن نفسه سلك هذه الطريقة العقلية، أكان في إقامة البرهان أم في بيان الأحكام والأدلة التي تبدوا واضحة في هذه الآيات الكريمة: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾﴾ [سورة الطارق آية 5] ﴿۞ أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾﴾ [سورة الغاشية آية 17] وهذه الآيات تشير إلى الطريقة العقلية في إقامة البرهان ،أي أنها تدعوا العقل كي يتفكر في هذه المخلوقات، التي هي براهين حسية في واقع الحياة، على قدرة الله تعالى في الخلق،وما دام البرهان حسيا،فما على العقل إلا أن يدركه."[2]

وإذا كان إحسانه سبحانه وكمال خلقه وإبداعه داعيا إلى الإيمان به ومحبته والقيام بعبادته بيقين أنه وحده المستحق لذلك كان في ذلك حصول المقصود.إذ لا طمأنينة للنفس بعيدا عن الإيمان بالله ومحبته.

المطلب الثالث:الآثار النفسية لتطبيق المنهج الرباني في الأحكام.

فإذا عرف الإنسان ربه من خلال إحسانه في خلقه وفي شرعه ،تسائل:ما آثار الإلتزام بالشرع في علاقته بأسرته ومجتمعه، على تحقيق راحة النفس وطمأنينتها؟

يقول ابن القيم:"وليس المقصود بالعبادات المشقة والكلفة بالقصد الأول ،وإن وقع ذلك ضمنا وتبعا في بعضها لأسباب اقتضته لا بد منها ..فأوامره سبحانه وحقه الذي أوجبه على عباده،وشرائعه التي شرعها لهم، هي قرة العيون ولذة القلوب ونعيم الأرواح وسرورها..فإن قيل فقد وقع تسمية ذلك تكليفا كقوله تعالى: ﴿لاَ يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ [سورة البقرة آية 285] قيل:نعم إنما جاء ذلك في جانب النفي ،و لم يسم سبحانه أوامره ووصاياه وشرائعه تكليفا قط:بل

[1]-شفاء العليل،(130/2)

[2]-معرفة النفس الإنسانية،(43/1)

سماها،روحا ،ونورا ،وشفاء،وهدى،ورحمة،وحياة،وعهدا،ووصية ونحو ذلك."[1]

ثم إن العبادة رحمة للإنسان ولطف به وهو محتاج لها :"فحاجة العباد إلى ربهم في عبادتهم إياه وتألههم له،كحاجتهم إليه في خلقه لهم،ورزقه إياهم،ومعافاة أبدانهم وستر عوراتهم،وأمن ورعاتهم،بل حاجتهم إلى تألهه ومحبته وعبوديته أعظم، فإن ذالك هو الغاية المقصودة لهم."[2]

ولأن استقرار الأسرة وارتياح أهلها أهم ما يحقق للإنسان الراحة والسكينة فقد شرّع سبحانه من خلال سورة النساء مثلا ما يضمن ذلك.

"فالعلاقة بين الرجل والمرأة في نظر الإسلام هي علاقة نظيفة محترمة ،هدفها خدمة النوع البشري عن طريق الإنجاب الذي يأتي عن علاقة زوجية شرعية،لا من روابط الزنا والسفاح ،و بقاء النوع البشري بل وتقدمه يتوقف على المرأة مثلما يتوقف على الرجل."لذالك وجب حفظ حقوق كل منهما مع القيام بواجباته تجاه أفراد الأسرة.فمن حق الرجل مثلا القوامة مع واجب النفقة ،ومن حق المرأة المهر مع واجب الطاعة..

ثم إن الإسلام حفظ الحقوق في الأسرة بدءا بالأقربين فكان للوالدين الحظ الأوفر وفاء لهم بالجميل والإحسان الذي بذلاه ،ثم الأقرب فالأقرب،دون إهمال حقوق الضعاف الذين فقدوا المعين والنصير لهم،كاليتامى والمساكين وأبناء السبيل،ثم حفظ حقوق الجار،بالإحسان إليه.

وقد بين سبحانه أحكام الحقوق المالية لليتامى،والورثة وكيفية التصرف في الأموال وحفظها.وذلك لأن التنازع على المال كثيرا ما يكون سببا في حدوث الشقاق في الأسرة ،فكان تبيينه سبحانه وقاية للأسرة من الاضطراب والشقاق.

ولا شك أن كل هذه الأحكام معينة على اطمئنان الإنسان على أن عرضه محفوظ من الانتهاك وأن نسبه محفوظ من الاختلاط،وأن ماله محفوظ من النهب،وأن أهله وأحبابه محفوظون في جميع حقوقهم ،وبذلك تحفظ كرامته.

وفي القرآن آيات كثيرة تبين علاقة المسلمين بمخالفيهم في الدين وأعدائهم ،فمثلا في سورة النساء نجد أن القرآن يعرف المسلمين بأعدائهم ويلزمهم بقتالهم لخيانتهم واعتدائهم وذلك حفظا لأمن المجتمع المسلم، وحفظ حقوق المستضعفين.والأمن في المجتمع هو أول ما يحقق الاطمئنان

---

[1]-إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان،ابن قيم الجوزية،تخريج: الألباني،تحقيق:علي لحلبي،دار ابن الجوزي،(75/1-76)

[2]-المرجع نفسه،(73/1)

والسكينة.

من خلال هذا المبحث نخلص إلى ما يلي:

معرفة الإنسان لإحسان ربه عليه في خلقه ورزقه وتدبير أمره ،ثم في تشريعه المحكم وحثه على الإحسان يجعله يتساءل:عن أثر هذا الإحسان في صلاح نفسه وتزكيتها واطمئنانها،فيخلص إلى أن أثر الإحسان على الإنسان يتلخص في نقاط ثلاث هي:

1-للطمأنينة النفسية في القرآن أهمية كبرى ،فهي مقصودة في كثير من الأحكام والتشريعات، ولتحقيقها نجد القرآن يأمر بما يحققها من أعمال كالذكر والعمل الصالح ،ولإبعاد الشكوك والظنون عن الإنسان نجد القرآن يزخر بالأدلة والبراهين العقلية التي تسلم بها العقول بداهة وذلك لتأكيد الحقائق الدينية والعقدية ليكون ذلك أقرب إلى التيقن والإيمان، ثم بعد ذلك نجد نماذج عن مراعاتها في الأحكام الجزئية وفي تنفيذ الحدود حيث تكون البينة والدليل الأساس لبناء أي حكم ،وذلك لنفي أي ريبة أو شبهة .وفي ذلك كمال الإحسان إلى الإنسان لكونه يثبت الإيمان ويبعد الوساوس والشكوك.

2-معرفة إحسان الله سبحانه بالنظر في خلقه العظيم المتناسق المحكم، وإتباع الهدي القرآني في التأمل والتدبر في الخلق ،يجعل الإنسان يستفسر عن سر عظمة هذا الخلق وعن خالقه وما يجب له، وعن سبيل الإنسان في الحفاظ على هذا الخلق والشكر عليه والاعتراف بعظمة خالقه، وليس للإنسان بعد هذا إلى الخضوع والتذلل إلى الخالق سبحانه والامتثال لأمره،فيكون بذلك قد عرف الصراط المستقيم الذي عرف أهله بأنهم محسنون مطمئنون ووعدوا بالأجر العظيم.

3-شرائع الإسلام وأحكامه جاءت متصفة بالإحسان آمرة به،ففي كل حكم مزيد إحسان منه سبحانه وإن لم يدرك الإنسان ذلك ،فأحكام الأسرة مثلا تأمر أفراد الأسرة بالإحسان لبعضهم،وذلك لتحقيق الطمأنينة والسكينة بسلامة الأسرة من الآفات والأخطار.

الخاتمة

الخاتمة

من خلال دراسة الإحسان في القرآن الكريم ومعرفة معانيه،والفاعلين له،وأولى الناس به نستخلص النتائج التالية:

أولا :الإحسان كلمة جامعة لمعاني كثيرة ،يدور معناه حول إيصال الفضل والنعمة والخير إلى الغير بالوجه الصحيح المشروع حتى لا ينقلب الإحسان إساءة.

ثانيا:إحسان الله عز وجل هو الأصل للوجود والخلق،واستمرار الخلق وبقاءه متوقف عليه في شموله ،وتفاصيله.

ثالثا:إحسان الله –عز وجل–وتفضله العظيم،يجعل له حقا عظيما على الإنسان الإحسان في أدائه.وحق الله على عباده متمثل في عبادته، وعدم الإشراك به،والاجتهاد في ذلك سعيا للوصول إلى درجة المحسنين الذين مدحهم الله –عز وجل–وخصهم بمحبته.

رابعا:سمي إحسان الإنسان إلى غيره إحسانا مجازا وليس حقيقة ،لأن الإنسان مجرد وسيلة لإيصال إحسان الله إلى عباده، وهو مع ذلك مثاب عليه بالأجر العظيم وفي هذا مزيد تفضل من الله –عز وجل–على عباده.

خامسا :أمر الله– عز وجل– بالإحسان في كتابه وأكد عليه، وجعل الإحسان للناس على مراتب ودرجات. وأهمها الإحسان إلى الأقربين بدءا بالوالدين،والإحسان إلى اليتامى لضعفهم وحاجتهم.

سادسا :الإحسان يتجاوز الأسرة والأقربين إلى الإحسان إلى جميع المسلمين بحفظ حقوقهم والدفاع عنها، وجهاد الأعداء وقتالهم في سبيل حفظها.ثم الإحسان إلى المخالفين في الدين والعقيدة بالعدل في الحكم ،وحفظ حقوقهم وعدم ابتداء ظلمهم.ثم إحسان العمل بإتقانه وتجويده.

سابعا :معرفة الإحسان بأركانه وأقسامه والمستحقين له. يورث الإيمان واليقين بقيمة الإسلام وإحسانه في تنظيم حياة الناس، ببيان الحقوق وحفظها، ولا شك أن هذا ينعكس على طمأنينة النفس وسلامة القلب .

وفي الأخير يمكن استنتاج مجموعة من التوصيات أهمها:

-العمل على تفعيل دور الدراسات الموضوعية في دراسة ومعالجة القضايا الواقعية حسب المنظور القرآني.

-العمل على إنشاء بحوث مشتركة بين الدراسات القرآنية والدراسات الاجتماعية والنفسية.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أ-القرآن الكريم برواية ورش عن نافع بعد آي المدني.

ب-الكتب:

1-الأخلاق الإسلامية وأسسها .عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني،دار القلم، ط5 ،1999.

2-أعمال القلوب أو المقامات والأحوال،ابن تيمية،دار الصحابة للتراث،ط1، 1990.

3 -إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان،ابن قيم الجوزية، تخريج: الألباني،تحقيق:علي ،لحلبي،دار ابن الجوزي.

4-بدائع الفوائد، ابن قيّم الجوزية،تحقيق:علي بن محمد العمران،دار عالم الفوائد.

5- بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار ،عبد الرحمان السعدي،طبع وزارة الأوقاف،ط4 ،1423،السعودية.

6-التحرير والتنوير،محمد الطاهر بن عاشور،الدار التونسية للطبع ،تونس ،1984.

7-تفسير أبو السعود،أبو السعود،تحقيق:عبد القادر أحمد عطا ،مكتبة الرياض الحديثة،مطبعة السعادة.

8-تفسير زهرة التفاسير،أبو زهرة، دار الفكر العربي.

9-تفسير الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب،فخر الدين الرازي ،دارالفكر، ط 1 1981،

10-تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن،ابن جرير الطبري،تحقيق:التركي،دار هجر

11-تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل،جمال الدين القاسمي،صححه:محمد فؤاد عبد الباقي،

12-تفسير القرآن الحكيم(المنار)،محمد رشيد رضا.

13- تفسير القرآن العظيم،ابن كثير،تحقيق:جماعة،مؤسسة قرطبة،مكتبة أولاد سيدي الشيخ

14-التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم،نخبة من العلماء بإشراف مصطفى مسلم،جامعة الشارقة،ط1، 2010،الإمارات.

15-الجامع الصحيح،البخاري ،تحقيق:محب الدين الخطيب ،محمد فؤاد عبد الباقي ،قصي محب الدين الخطيب،المطبعة السلفية ومكتبتها ،ط1، 1400ه،القاهرة.

16-حجة الله البالغة،شاه ولي الله الدهلوي،تحقيق:السيد سابق،دار الجيل،ط1، 2005،بيروت.

17-دستور الأخلاق في القرآن،محمد عبد الله دراز،تحقيق:عبد الصبور شاهين،،مؤسسة الرسالة،دار البحوث العلمية.

18-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،محمود شكري الألوسي،دار إحياء التراث العربي،بيروت،لبنان.

19- سنن ابن ماجه،الحافظ أبو عبد الله محمد ابن يزيد القزويني،تحقيق:محمد فؤاد عبد الباقي،دار إحياء الكتب العربية.

20-شفاء العليل،ابن القيم،تعليق:مصطفى أبو النصر الشلبي،مكتبة السوادي،ط1 ،1999.

21-شفاء القلوب،مصطفى عدوي،دار ماجد عسيري للنشر،ط1 ،1997،جدة.

22- صحيح مسلم.مسلم بن الحجاج النيسابوري،تحقيق:محمد فؤاد عبد الباقي،دار إحياء التراث العربي،بيروت.

23-فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية،الشوكاني،دار الوفاء.

24-في ظلال القرآن،سيد قطب،دار الشروق.

25-كبرى اليقينيات الكونية ،محمد سعيد رمضان البوطي،دار الفكر المعاصر،بيروت،دار الفكر،دمشق، ط2.

26-الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية.الكفوي،عناية :عدنان درويش،حمد المصري.مؤسسة الرسالة،بيروت، ط2 ،1998.

27-لسان العرب،ابن منظور،دار المعارف.

28-مجموع فتاوى ابن تيمية،أحمد ابن تيمية الحراني ،دار الوفاء. مختصر الصواعق المرسلة،ابن القيم الجوزية ،اختصار محمد الموصلي،أضواءالسلف، ط1 ،2004، الرياض.

29-مختصر الصواعق المرسلة،ابن القيم الجوزية ،اختصار محمد الموصلي،أضواءالسلف، ط1 ،2004، الرياض.

30-مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين،ابن قيم الجوزية،دار إحياء التراث العربي،مؤسسة التاريخ العربي،بيروت،لبنان،ط1، 1999.

31-مدخل إلى فهم الجذور من أنا؟ولماذا؟وإلى أين؟،محمد سعيد رمضان البوطي،دار الفكر المعاصر ،بيروت،دار الفكر،دمشق،ط2 ،1991.

32-المسائل العقدية ،ألطاف الرحمان بن ثناء الله،إشراف:سعود بن عبدالعزيز، موسم1423/1422.

33- المستدرك على الصحيحين،أبي عبد الله الحاكم النيسابوري،دار الحرمين،ط1، 1997

34-المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها،عواد بن عبد الله المعتق،مكتبة الرشد،الرياض.

35-معجم ألفاظ القرآن الكريم،مجمع اللغة العربية.

36-المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم،محمد فؤاد عبد الباقي،دار الحديث،القاهرة،1364.

37-معجم مقاييس اللغة،ابن فارس،تحقيق:عبد السلام محمد هارون،دار الفكر.

38-معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة ،سامح عاطف الزين،دار الكتاب اللبناني ودار الكتاب المصري،ط1 ،1991

39-المفردات في غريب القرآن،الراغب الأصفهاني،تحقيق محمد سيد كيلاني.

40-منهج القرآن في تربية المجتمع،،عبد الفتاح عاشور،مكتبة الخانجي،ط1، 1979.

41-الموافقات،الشاطبي،ضبط نصه وقدم له:أبوعبيدة مشهور بن حسن آل سلمان،دار ابن عفان،ط1،1997،السعودية.

42-نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي ،دار الكتاب الإسلامي

43-نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر،أبي الفرج بن الجوزي،تحقيق:محمد عبد الكريم

الفهارس:

-فهرس الآيات .

-فهرس الأحاديث.

-فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات:

الآية	رقم الآية	السورة	الصفحة
﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾	29	البقرة	**29**
﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾	194	البقرة	**18**
﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾	259	البقرة	**67**
﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾	285	البقرة	**69**
﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾	8	آل عمران	**67**
﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾	**58**	آل عمران	**27**
﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾	134	آل عمران	**13**
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾	1	النساء	**26** 49
﴿وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ﴾	2	النساء	**53– 49**
﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِي ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾	3	النساء	**53– 50**
﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ	7	النساء	**51**
﴿۞ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ	11	النساء	**54**
﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ	17	النساء	**20**

يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ			
﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ لاَ يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهاً ﴾	النساء	19	**51**
﴿۞ اِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ ﴾	النساء	31	**7**
﴿ وَاعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلاَ تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔاً ﴾	النساء	36	**55**
﴿اِنَّ ٱللَّهَ لاَ يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ﴾	النساء	40	**7**
﴿اَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلذِينَ ٱوتُواْ نَصِيباً مِّنَ ٱلۡكِتَـٰبِ يَشۡتَرُونَ ٱلضَّلَـٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَّ﴾	النساء	44	**58**
﴿مِّنَ ٱلذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا ﴾	النساء	45	**59**
﴿اِنَّ ٱللَّهَ لاَ يَغۡفِرُ أَنْ يُّشۡرَكَ بِهِۦ ﴾	النساء	47	**8**
﴿اَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۡ ﴾	النساء	48	**60**
﴿اَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلذِينَ ٱوتُواْ نَصِيباً مِّنَ ٱلۡكِتَـٰبِ يُومِنُونَ بِالۡجِبۡتِ وَالطَّـٰغُوتِ﴾	النساء	50	**60**
﴿۞ اِنَّ ٱللَّهَ يَامُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلاَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾	النساء	57	**61**
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱوۡلِى ٱلاَمۡرِ مِنكُمۡ﴾	النساء	58	**61**
﴿۞ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ اِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾	النساء	63	**8**
﴿وَمَن يُّطِعِ ٱللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم ﴾	النساء	68	**62**

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَانفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ إنفِرُواْ جَمِيعاً﴾	70	النساء	**62**
﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾	78	النساء	**14**
﴿فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ﴾	87	النساء	**62**
﴿وَمَا كَانَ لِمُومِنٍ اَنْ يَّقْتُلَ مُومِناً اِلاَّ خَطَـٔاً﴾	91	النساء	**62**
﴿۞ وَمَنْ يَّقْتُلْ مُومِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَآؤُهٗ جَهَنَّمُ خَـٰلِداً فِيهَا﴾	92	النساء	**61**
﴿وَمَنَ اَحْسَنُ دِيناً مِّمَّنَ اَسْلَمَ وَجْهَهٗ لِلهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾	124	النساء	**12**
﴿اِلاَّ ٱلذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَاعْتَصَمُواْ بِاللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلهِ﴾	145	النساء	**19**
﴿ اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلِاسْلَمَ دِيناً﴾	4	المائدة	**19**
﴿لَيْسَ عَلَى ٱلذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ وَاللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٥﴾﴾	95	المائدة	**16**
﴿وَهُوَ ٱلذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ﴾	100	الأنعام	**31**
﴿۞ وَهُوَ ٱلذِىٓ أَنشَأَ جَنَّـٰتٍ مَّعْرُوشَـٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَـٰتٍ﴾	142	الأنعام	**41**
﴿مَن جَآءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهٗ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَآءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَىٰٓ إِلاَّ مِثْلَهَا﴾	161	الأنعام	**15**

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلأَنْهَـٰرُ﴾	42	الأعراف	**37**
﴿وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي ٱلأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً﴾	55	الأعراف	**40**
﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَـٰذِهِ﴾	130	الأعراف	**15**
﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلتِي بَـٰرَكْنَا فِيهَا﴾	136	الأعراف	**16**
﴿وَإِذَ اَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيۤ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّـٰتِهِمْ﴾	172	الأعراف	**29**
﴿۞ قُل لآَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً اِلاَّ مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾	188	الأعراف	**30**
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ اِسْتَجِيبُواْ لِلهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾	24	الأنفال	**66**
﴿ٱلذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ ٱلْمُومِنِينَ﴾	108	التوبة	**16**
﴿إِنَّ ٱلذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَـٰنِهِمْ﴾	9	يونس	**38**
﴿۞ لِّلذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنىٰ وَزِيَادَةٌ وَلاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ﴾	26	يونس	**15**
﴿وَأَنِ اِسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَـٰعاً حَسَناً اِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمّىً وَيُوتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾	3	هود	18
﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحاً قَالَ يَـٰقَوْمِ اِعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَالَكُم مِّنْ اِلَـٰهٍ غَيْرُهُ﴾	60	هود	**29**
﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾	3	يوسف	**12**

﴿۞ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٢٢﴾	22	يوسف	**13**
﴿ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ﴾	100	يوسف	**11**
﴿وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِ وَقَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِمُ ٱلۡمَثُلَٰتُۗ﴾	7	الرعد	**15**
﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾	12	الرعد	**20**
﴿فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ٢٩﴾	29	**الحجر**	**29**
﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞۖ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ٨٥﴾	85	الحجر	**19**
﴿وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَا﴾	14	النحل	**31**
﴿أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ١٧﴾	17	النحل	**68**
﴿ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُخۡزِيهِمۡ وَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمۡۚ﴾	27	النحل	**20**
﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ﴾	28	النحل	**20**
﴿وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكۡرَهُونَ وَتَصِفُ أَلۡسِنَتُهُمُ ٱلۡكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾	62	النحل	**15**
﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلٗاۚ﴾	69	النحل	**32**

﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِۦ﴾	15	الإسراء	**37**
﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾	23	الإسراء	**44**
﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٤٩﴾﴾	49	طه	**36**
﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٦﴾﴾	116	المؤمنون	**30**
﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾﴾	24	الفرقان	**12**
﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾﴾	54	الفرقان	**27**
﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾	64	النمل	**20**
﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾﴾	91	النمل	**14**
﴿۞ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾	38	القصص	**43**
﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ﴾	54	القصص	**15**
﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾	69	العنكبوت	**38**
﴿۞ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾	72	الأحزاب	**30**
﴿۞ ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾﴾	22	الصافات	**38**

﴿قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾﴾	105	الصافات	**13**
﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٣﴾﴾	33	الزمر	**14**
﴿۞ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾	16	فصلت	**37**
﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾	25	الشورى	**33**
﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۖ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾	49	الشورى	**37**
﴿۞ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾	56	الذاريات	**29–45**
﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾	27	الرحمن	**35**
﴿۞ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾	59	الرحمن	**14**
﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾﴾	22	الملك	**32**
﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾﴾	18	المدثر	**43**
﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾﴾	20	المرسلات	**27**
﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾﴾	19	عبس	**34**
﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾﴾	24	التكوير	**17**
﴿۞ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾﴾	17	الغاشية	**69**
﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾﴾	6	العلق	**43**
﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾	4	التين	**27**

فهرس الأحاديث الشريفة والآثار

طرف الحديث	الصفحة
أتدري ما حق الله على عباده	45
ألا إن في الجسد مضغة	66
إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه	35
إن في سورة النساء	8
إن لي جارين	57
أيعرف أهل الجنة	35
كان المال للولد	54
كانوا إذا مات الرجل	51
كلوا واشربوا	41
مامن قلب إلا بين أصبعين	61
ما نزلت سورة النساء	7
نحن أحق بالشك من إبراهيم	67
يابن أختي هذه اليتيمة	50

فهرس الموضوعات:

إهداء.....

شكر وعرفان.....

المقدمة ..... أ

مدخل:تقديم لسورة النساء **6**

المبحث الأول:مفهوم الإحسان في القرآن 10

المطلب الأول:لفظ الإحسان في اللغة 11

المطلب الثاني:مصطلح الإحسان في القرآن 12

المطلب الثالث:مصدر الإحسان 21

المبحث الثاني:إحسان الله عز وجل 25

المطلب الأول:أصل الإحسان ومنشأه 26

المطلب الثاني:عموم إحسان الله سبحانه وخصوصه 30

المطلب الثالث:واجب الإنسان تجاه خالقه والمحسن إليه 38

المبحث الثالث:تجليات الإحسان في الأحكام من خلال سورة النساء..... 47

المطلب الأول:تجليات الإحسان في أحكام الأسرة من خلال السورة 48

المطلب الثاني:تجليات الإحسان من خلال أحكام المجتمع المسلم..... 58

المبحث الرابع:الأثار النفسية للإحسان في القرآن الكريم..... 65

المطلب الأول:أهمية الطمأنينة النفسية في القرآن 66

المطلب الثاني:آثر معرفة إحسان الله سبحانه في تحقيق الطمأنينة النفسية..... 68

المطلب الثالث:الآثار النفسية لتطبيق المنهج الرباني في الأحكام..... 69

الخاتمة **72**

قائمة المصادر والمراجع **75**

فهرس الآيات..... **81**

فهرس الأحاديث..... **88**

فهرس الموضوعات **89**